

دراسات في النسخة والحديث

تأليف

رشيد العبيدي

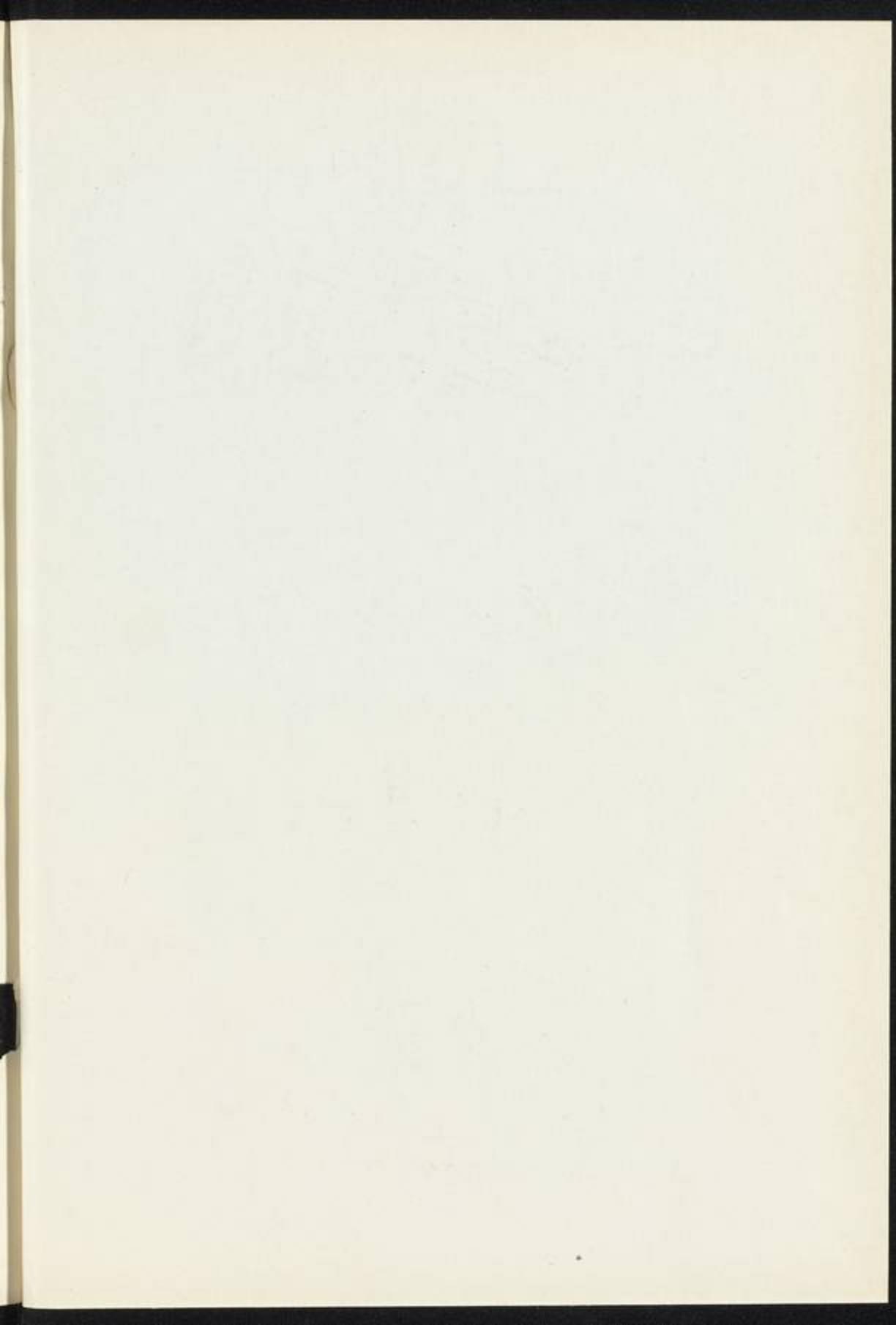
الاستاذ بجامعة بغداد والجامعة المستنصرية

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٧٠



دراسات

في التفسير والحديث

تأليف

رشيد العبيد

الأستاذ بجامعة بغداد

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٧٠

BP
130.2
.U23

V, (

very dark in shade

- V.P. /

لِلَّهِ الْحَمْدُ لِرَبِّ الْجَمَيْلِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء وآله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين ، ومن تبعهم بحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فهذه محاضرات في التفسير والحديث ، القيتها على طلبة الصفوف الثانية ، في كلية الآداب بجامعة بغداد ، وكلية الآداب بالجامعة المستنصرية .

وقد تناولت هذه المحاضرات فيما تناولته بعض المباحث الهامة لبيان جلال القرآن الكريم ، والحديث الشريف . وجعلت مباحث القرآن في باب ، ومباحث الحديث في باب ، كما جعلت تحت الباب الأول عدة فصول . ذكرت في الفصل الأول منه الدين الإسلامي ، أصوله ، وأحكامه .

ثم تحدثت فيه عن أحكام الله تعالى ، وكونها معللة بصالح العباد ، وذكرت في الفصل الثاني أن الأحكام الأساسية في القرآن لم تتبدل بتبدل الأحوال والأيام ، وإنما هناك آيات عامة تبيح التوسيع ، وتجوز الرخص الشرعية .

وقلت في الفصل الثالث إن القرآن والحديث هما أهم أصول التشريع الإسلامي ، كما ذكرت فيه أنواع الأحكام الشرعية .

الاعمال ، والمعاملات ، والعقوبات التي شرعت لحفظ حياة الناس وأعراضهم وأموالهم . والاحكام التي شرعت لتحديد علاقة الامة بالحكومة تلك العلاقة المعروفة في زماننا هذا بالاحكام الدستورية وكذلك ذكرت فيه احكام الجهاد ونظام الحرب ، ثم بينت ان جميع اوامر الله ونواهيه يمكن ردها الى امور :

- ١ - عدم الخرج . ٢ - تقليل التكاليف . ٣ - التدرج في التشريع . ٤ - الاجمال بعد التفصيل .

وتحدثت في الفصل الرابع عن عظمة التشريع الإسلامي وعلوه
قدره ، وما يمتاز به على كل تشريع ، فذكرت من مزایاه :

- ١ - موافقته لمقتضى العقل الراجح .
 - ٢ - انه لشريع عالمي يستهدف جميع الامم .
 - ٣ - انه لشريع واقعي لا افراط فيه ولا تفريط .
 - ٤ - ان مصادره تدخر في الفاظها حقاائق لا تنتهي حكمتها ولا يبطل معناها مدى الحياة البشرية .

واشتمل الفصل السابع على مبحث تنجيم القرآن ، والآيات
المكية والمدنية . وأسباب النزول . كما اشتمل الفصل الثامن على
مباحث جمع القرآن ، وكتابه وحفاظه .

وفي الفصل التاسع تكلمت عن مبحث اعجاز القرآن ، والمحكم
والمتشابه ثم علم القراءات والقراء .

وفي الفصل العاشر تفسير سورة (ق) ، وفي الحادي عشر
تفسير سورة النجم وبها ختم الباب الأول .

البَابُ الثَّانِي

اشتمل هذا الباب على عدة فصول أيضاً .

الفصل الأول اشتمل على مبحث الحديث الشريف والسنّة
النبوية ، واشتمل الفصل الثاني على تدوين الحديث والرحلة في طلبه
أما الفصل الثالث فقد اشتمل على دور الحديث وجه المحدثين .
والفصل الرابع اشتمل على علم الحديث رواية ودرایة . أما الفصل
الخامس فقد اشتمل على كتب الحديث ومراتبها ، وشروط الراوي
والفصل السادس اشتمل على أقسام الحديث الصحيح ، والحسن
والضعيف ، وأما الفصل السابع فقد اشتمل على الحديث المشترك
بين الصحيح والضعيف ، وأسباب الوضع في الحديث ، وجعلت
في الفصل الثامن قراءة احاديث مختارة من كتاب المجازات النبوية
للشريف الرضي ، وبها ختم هذا الكتاب ، والله حسي . به اهتمي
ومنه التمس التوفيق .

رشيد علي العبيدي
الأستاذ بجامعة بغداد
والجامعة المستنصرية

الباب الأول

الفصل الأول

تَهْذِيْب

الدين الاسلامي أصوله وأحكامه

الاسلام دين الفطرة السليمة يضمن رقي الازسان وسعادته كما
ضمنت نواميس الكون التوازن التام بين جميع الاجرام ، وبهذا
الاعتبار كان دين الاسلام دين عقل ، وعلم ، ونظام ، ليس فيه محل
للخرافات والاساطير ، ولا مجال في احكامه وتشريعاته للفوضى
والاضطراب ، فجميع ما جاء في مصادره التشريعية مبني على الحكمة
ورعائية المصالح العامة ، فهو ثابت الاصل متجدد الفروع . ان
جميع احكام الدين سواه كانت قرآنية أو سنة نبوية اما هي احكام
قدور مع العلل وجوداً وعدماً ، وتتمشى مع مصالح الاجيال البشرية
على اختلاف سلالاتها ، وازمانها ، وأمكنتها . ولهذه الاحكام
أسرار تحتاج الى نظر فلسفى محيط بكل ما حذر ويحدث في
الكائنات ، كما يحتاج الى اطلاع واسع على مقاصد الشارع الحكيم
ومقارنة ذلك بأحوال الافراد ، والجماعات ، والامم ، في مشارق

الارض و مغاربها . ولقد أكَدَ غير واحد من أساطين العلم و افذاذ
المُشرعين ، ان الدين الاسلامي هو أرقى وأكمل الشرائع التي جاءت
لرقي المجتمعات و هدايتها و ليست المداية غير ناموس التطور والانتقال
من حال الى حال .

ذهب جمهور الفقهاء الى أن الاصل في أمور العبادات اثنا هُو
التبعيد على الوجه الذي أُمِرْتَ به الشريعة الاسلامية كا انهم ذهبوا
إلى أن أمور المعاملات إن لم يكن فيها شرع هو نص في الموضوع
فقد يصار الحكم الشرعي فيها الى ما تقتضيه المصلحة العامة المــادفة
إلى المحافظة على الدين أو النفس أو العقل أو النسل أو المال .

ولَا مناص للمسلمين حينئذ من الــأخذ بعمل المصالح المرسلة
وجعلها محلاً للفتوى ، ومصدراً من مصادر التشريع المعتبرة ، تماشياً
مع تطور العلوم وتجدد الأحداث واختلاف الأعراف والعادات
والتصال الــامة الاسلامية بأمم الأرض ، واشتراكها معها في الشؤون
العالمية ما دامت تلك الشؤون لا تتعارض مع جوهر الدين . بل
تساعد على نشر الاسلام بين هاتيكم الأمم الاجنبية .

ولَا يخفى ان عدم الــأخذ بما تقتضيه مصلحة الــامة الاسلامية
يعرضها الى مخاطر جسيمة ويجلب عليها مفاسد تقوض كيانها الدولي ،
وتعزّلها عن اكبر ندوة أمنية في العالم .

كل ذلك يوجب علينا نحن معاشر المسلمين أن نتخد للامور
أهبتها من قبل أن تأتينا ساعة يأخذنا فيها الندم ويسنا فيها العذاب .

أحكام الله معللة بمصالح العباد

ذهب كثير من فقهاء المسلمين الذين يعتقد بأدائهم إلى أن أوامره ونواهيه كلها معللة بمصالحة العباد غير أن بعض العلل قد ظهر لنا جلياً وبعضها قد خفى على الناس لحكمة هو أعلم بها .

ومن لا ريب فيه ، ان هذا الخفاء سيظهره الله عز وجل حين يشاء في أوقات وأحوال قدرها تقديرأ . ولعل الله جلّت قدرته جعل في هذا الخفاء مصلحة للعباد فترك بعض الأحكام للناس ، يقررونها بما يكفل مصالحهم الطارئة بحسب ما تقتضيه أحوالهم ويلامون بما يبيثونهم . ولقد ذكر كثير من المعنيين بالاحكام القرآنية ان الناس في بحر هذه الحضارة المتتجدة أحوج ما يكونون الى معالم شرعية تبين حدودها ، وتعين حلالها من حرامها ، لأن النصوص الشرعية متناهية والواقع غير متناهية والذى له نهاية لا يضبط شيئاً بلا نهاية . فاما أن يترك الناس مع أهوائهم في المذاهب يحرمون ما يشاؤون ويحللون ما يشاؤون ، وأما أن يقفوا تلقاً الاحوال الجديدة المستحدثة جامدين لا يحررُون على شيء ، فتتعمطل بذلك الاعمال وتتعقد الامور ، فيضطر المسلمون الى الأخذ بشريعة غير شريعتهم . وفي هذا الانحراف ما فيه من خطر على الملة الإسلامية ، في حياتها المستقبلة .

ومن هذا المنطلق يكون الأخذ بالمصالحة العامة أمراً تحتمه مصالحة المسلمين وليس في هذا الأخذ خروج على الدين ما دامت المصالحة مقيدة بقصد الشرع وغير مخالفة لروح الكتاب الكريم والحديث الشريف .

ثم ان كبار فقهاء المسلمين قد استحسنوا الاخذ بها ، وقالوا
بشرعيتها ، غير انهم قيدوها بشروط ، حتى لا تكون وسيلة بأيدي
 أصحاب الاهواه الذاتية .

وأول هذه الشروط أن تكون المصلحة ضرورية : أي انها
 تكون من الامور التي تدور الاحكام الشرعية عليها .
 وثاني هذه الشروط أن تكون المصلحة كافية : أي ان فائدتها
 تعم جميع المسلمين ، في جميع الاحوال ، فلا تختص بجماعة دون
 جماعة ، ولا مما تصح في حال ثم لا تصح في حال آخر .
 وثالث هذه الشروط أن تكون المصلحة من الامور التي يجزم
 المسلمين بصحتها ولا مجال للشك فيها .

ولقد مثل الغزالي للمصلحة الجامعة للاوصاف الثلاثة بـ
 ترسوا بـجـمـاعـةـ مـنـ أـسـرـىـ الـسـلـمـينـ .ـ فـلـوـ كـفـفـنـاـ عـنـهـمـ لـقـاتـلـنـاـ وـغـلـبـوـاـ
 عـلـىـ دـارـ اـلـاسـلـامـ ،ـ وـلـوـ رـمـيـناـ اـلـتـرسـ لـقـتـلـنـاـ مـسـلـمـاـ مـعـصـومـ الدـمـ لـمـ
 يـقـرـفـ ذـبـأـ .ـ لـكـنـ مـصـلـحـةـ عـامـةـ الـسـلـمـينـ تـقـتـضـيـ القـتـالـ وـلـوـ قـتـلـ
 أـسـرـىـ الـسـلـمـينـ معـ الـاعدـاءـ ،ـ لـأـنـ مـقـصـودـ الشـرـعـ تـقـلـيلـ القـتـلـ ،ـ أـوـ
 حـسـمـهـ ،ـ قـدـرـ الـامـكـانـ .ـ وـفـيـ مـقـاتـلـةـ الـكـفـارـ تـحـقـيقـ ذـلـكـ لـأـنـهـ اـذـاـ
 كـفـفـنـاـ عـنـهـمـ قـتـلـوـ الـسـلـمـينـ ثـمـ قـتـلـوـ اـسـرـىـ ،ـ وـلـئـنـ لـمـ نـقـدـرـ عـلـىـ الحـسـمـ
 لـقـدـ قـدـرـنـاـ عـلـىـ التـقـلـيلـ فـكـانـ ذـلـكـ التـفـانـاـ اـلـىـ مـصـلـحـةـ عـلـمـ بـالـضـرـورةـ
 كـوـنـهـ مـقـصـودـ الشـرـعـ .ـ

الفصل الثاني

هل تتبدل الاحكام بتبدل الاحوال والاماكن؟

وحقيقة الامر ان الاحکام الاساسية لم تتبدل بتبدل الاحوال والایام ، وانما هناك في القرآن الكريم آيات عامة تبيح التوسيع وتجوز الرخص والتخفيفات في الاحکام الشرعية ، ويمكن أن تكون أصلًا ومردًا لكثير من الحوادث الجديدة التي ليس لها نص خاص بها غير المصلحة العامة التي تدعو الى صلاح الامة . والتي أودع الله سبحانه وتعالى الحكم فيها الى ذوي العقول السليمة والبصائر النيرة من مجتهدي الملة الاسلامية . ذلك لأن الله سبحانه وتعالى أعلم ببصائر الخلق وأدرى بما كان وما يكون . فخلق للناس عقولاً وأمداً هابنوع من القدرة على التصرف ، والفهم بما هو عدل وخير وحق . ولو لا ذلك لما جعل هذه العقول مناطاً للعقاب والثواب ومحلًا للتکلیف .

ثم اننا لسنا في الاخذ بهذا الرأي بداعاً فلنـا في سلفنا الصالـح
قدوة حسنة فقد اقتضت مصلحة المسلمين زمن سيدنا أبي بكر الصديق
وقبيل وفاته أن يستخلف بعده من يقوم باعباء الخلافة . مع ان هذا
الاستخلاف لم يكن فيه نص صريح غير مقتضى المصلحة العامة فقد

ذكروا ان الصديق رضي الله عنه أرسل الى عثمان بن عفان وأملى عليه
عهداً يستخلف فيه سيدنا عمر بن الخطاب .

قال فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي
قحافة خليفة محمد رسول الله ﷺ عند آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده
بالآخرة . في الحال التي يؤمّن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر اني
استخلفت عليكم عمر بن الخطاب . فان بر وعدل بذلك علمي به .
ورأيي فيه . وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب . والخير أردت « ولكل
امری . ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

وهذاك امور اخرى حكم فيها المسلمون برأيهم وجعلوا
المصلحة العامة علة لاحكامهم خلافا لما جرى عليه المسلمين في شأن
الغنائم من قبل . إذ كانت الغنائم تقسم بين المسلمين لا فرق بين
ارض وارض كما صرّح بذلك الكتاب الكريم في قوله تعالى :

« واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان الله يُخْسِهُ و المرسول ولذى
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » . الانفال الآية ٤٢

فلننظر الى ما فعله الخليفة الثاني « رضي الله عنه » في الغنائم
زمن خلافته . روى ابو يوسف في كتاب الخراج قال حدثني غير
واحد من علماء اهل المدينة قالوا : لما قدم على عمر بن الخطاب جيش
العراق من قبل سعد بن ابي وقاص شاور أصحاب محمد في تدوين
الدواوين والتفصيل في العطاء . وشاورهم في قسمة الارضين التي
أفا الله على المسلمين من ارض العراق والشام . فتكلم قوم وارادوا
ان يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا . غير ان سيدنا عمر رضي الله عنه

يأتي بعدهم . ارأيتم هذه الشغور لابد لها من رجال يلزمونها ؟ ارأيتم هذه المدن العظام كالشام ، والجزيرة ، والكوفة ، والبصرة ، ومصر ، لابد لها من ان تشحن بالجيوش وادرار العطا ، عليهم ؟ فن أين يعطى هؤلا . اذا قسمت الارضين والعلوج على الغزاة الفاتحين ؟ . فقالوا جميعا : الرأي رأيك ، فنعم ما قلت وما رأيت . إن لم تشحن هذه الشغور ، وهذه المدن بالرجال ، وتجري عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر الى مدنهم . فقال : قد بان لي الأمر .

وهكذا قرر ابقاء الارض بأيدي اهلها ، وضرب الخراج عليهم وكان رأيه رضي الله عنه سديدا ، وسكت المخالفون اتباعاً للرأي الغالب الأسد .

الفصل الثالث

القرآن والحديث

هما أهما أصول التشريع الإسلامي

اجتمعت كلة الأمة الإسلامية على ان اصول التشريع الاسلامي
اربعة : ١ - كتاب الله تعالى ٢ - سنة نبيه ﷺ ٣ - اجماع علماء
الاسلام البالغين درجة الاجتهاد ٤ - القياس لقوله تعالى : [يا أيها
الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . فان
تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا] . سورة النساء . الآية ٥٩

القرآن الكريم

القرآن هو كتاب الله الخالد المترجل على رسوله محمد ﷺ المنسوق
إلينا نقاًلا متواتراً المكتوب في المصاحف المحفوظ في صدور من عني
بحفظه من المسلمين إلى اليوم من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة
الناس ليكون دستور الحياة البشرية في الدنيا والآخرة ، وهو مصدر
التشريع الإسلامي الأول ، منه تتفرع الأدلة وعنه تصدر الأحكام .

* * *

واما السنة النبوية الشريفة فهي بيان وتفصيل لما جاء في القرآن الكريم الذي لا يأتيه البطلان منها اختلف الزمان والمكان وممها تغيرت الاجيال والاحوال .

لذلك قال الفقهاء ان تشريع القرآن غالباً جاء مجملأً كلياً قلما ي تعرض لبيان الحوادث الجزئية واحكامها ، وانما يضع القواعد الكلية والاصول القانونية ، والمبادئ التشريعية . ليرجع اليها العلماء المجهودون في كل امة ، وفي اي زمان ، فيستبطون منها ما يلامح حالة كل عصر ، وحاجة كل امة من الاحكام ، متوكين في ذلك المحافظة على اصول تشريعيه وقواعد احكامه .

أنواع الاحكام في التشريع القرآني

اشتمل القرآن الكريم على انواع من الاحكام العملية وهي التي تعرف عند العلماء بالاحكام الفقهية وهذا بيانها .

١ - العبادات التي لا تصح إلا بالنية ، وهي ما شرع لتنظيم رابطة الانسان بخالقه ، وهي اقسام : عبادة بدنية روحية ، من صلاة وصوم وعبادة مالية اجتماعية ، وهي الزكاة وسائر انواع الصدقات ، وعبادة روحية بدنية مالية كالحج والمجادل والوفا ، بالنذر .

٢ - المعاملات التي شرعت احكامها لتنظيم علاقات الناس بعضهم البعض . واقامة الروابط بين افراد الامة وجماعتها ، على اساس العدل ، والرحمة ، والتعاون ، والمحبة ، ودفع اسباب الضر والعدوان ، واحتلال النفع والخير ، ويدخل في ذلك المعاملات المدنية . من بيع ، واجارة ، ورهن ، وكفالة ، وحوالة ووكالة

كما يندرج تحتها ما يعرف بالاحوال الشخصية ، وهو ما يختص بالانسان من حين ولادته الى حين وفاته ، كالزواج ، والطلاق ، والعدمة ، وثبت النسب ، والرضاع ، والنفقة ، والارث ، والوصية ، وما يتبع ذلك من احكام .

٣ - العقوبات التي شرعت لحفظ حياة الناس واعتراضهم وأموالهم وهي : عقوبات القتل ، والسرقة ، وقطع الطريق ، والزنى ، والقذف ، مما هو معروف بالقصاص والحدود .

٤ - احكام شرعت لتحديد علاقة الامة بالحكومة وبيان حقوق الوالي على الرعية وحقوق الرعية على الوالي ، وهي احكام الشورى ، والمساواة ، والعدل ، وطاعة اولى الامر ، فيما تجحب فيه الطاعة ، وهي المعروفة في زماننا هذا بالاحكام الدستورية .

٥ - احكام شرعت للجهاد ، ونظام الحرب ، والقتال ، وتنظيم علاقات المسلمين ، بغيرهم من الامم ، وما يتبع ذلك من حكم الاسرى والفيء ، والغناائم ، وهي قريبة الشبهة بما يُعرف الآن بالقوانين الدولية .

ولقد راعى القرآن الكريم في جميع اوصياله ونواهيه واخباره
وقصصه ثلاثة امور :

١ - عدم الضرر بدلالة قوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر) . سورة البقر آية ١٨٥

وقوله : (وما جعل عليكم في الدين من حرج) سورة الحج ٧٨
وقوله تعالى : (ي يريد الله ان ينحف عنكم و خلق الانسان ضعيفا) سورة النساء الآية ٧٨

وقال : (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) سورة
الاعراف الآية ١٥٧

٢ - تقليل التكاليف : وهو نتيجة لازمة لعدم الحرج . بدلالة قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألو عن أشياء ان تُبَدِّلَ لكم تسوُّكم ، وإن تسألو عنها حين يُنْزَلُ القرآن تُبَدِّلَ لكم ، عفًا الله عنها ، والله غفور حليم ، قد سألهما قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) سورة المائدة آية ١٠٥ . وقوله ﷺ : إن الله فرض فرائض ، فلا تضيئوها ، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرّم أشياء ، فلا تنتهكوهَا ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان لها فلا تسألو عنها .

٣ - التدرج في التشريع : جاء النبي ﷺ والعرب قد استحكمت فيهم عادات منها ما هو صالح للبقاء ، ولا ضرر منه على تكوين الأمة ومنها ما هو ضار ينبغي البعد عنـه فاقتضت حكمة الله أن يتدرج الشرع بهم شيئاً فشيئاً ليبيان حكمته وأكال دينه ، والمتأمل الفطن لا يرى في الآخر ابطالاً للأول ، يؤيد ذلك أن العبادات لم تشرع في سنة واحدة ، ولم تفرض جملة على المسلمين في بدء الاسلام . سُئل رسول الله ﷺ عن الخير والميسر ، فأجابهم بالحكم القرآني (قل فِيهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ ، وَإِنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا) سورة البقرة الآية ٢١٩ . ولم يصرح بالنهي عنـها وان كان يفهمه من هذه الآية الفقيه العالم بسر التشريع ، لأن ما كثُرَ إِثْمٌ حرَمَ فعله ، إذ لا يوجد في الاعمال ما هو شر محض فالمدار في التحرير والتحليل غلبة الخير والشر . ثم صرـح بنـيهـم

عن الصلاة وهم سكارى حتى يعلموا ما يقولون ، فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ، حتى تعلموا ما تقولون) سورة النساء الآية ٤٣ .
وليس في هذا النهي ابطال للأول بل هو مؤكّد له . ثم جاء مصراً بالنهي بتات الحكم فقال : (يا أيها الذين آمنوا إنما الحمر والميسير والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الحمر والميسير ، ويصدكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) سورة المائدة الآية ٩٥ .

٤ - الاجال ثم التفصيل : ويتجلى هذا من المقارنة بين التشريع المكي والتشريع المدني ، فالتشريع المكي مجمل قلما يذكر احكاما تفصيلية ، أما التشريع المدني فإنه اشتمل على احكام تفصيلية ذات أصول عامة ، وقواعد كلية ، فيها كل ما تحتاج اليه الأمم في جميع أمصارها وعامة ازمنتها مما يكفل لها حياة الآمن والعزة والتمتع بباب العدال والمساواة ومقومات السعادة الروحية والجمانية المعنوية والحسية في حدود الاعتدال ، بجافية للافراط نائية عن التفريط ، وهذا هو اللائق بشريعة باقية خالدة ختم بصاحبها عليه الصلاة والسلام عهد النبوات وجاء دينه اتم الاديان وأوفاها ب حاجات البشر جيما .

الفصل الرابع

جلال التشريع الإسلامي

يطلق التشريع عند المسلمين ويريدون به تلك الاحكام الفقهية الواردة في القرآن الكريم والسنّة الحمدية ، وما حرقه وأجمع عليه كبار العلماء عن طريق الاجتهاد ، والقياس في العبادات والمعاملات . ولقد ذكر كثير من أئمّة العلم وأساطير القانون في الشرق والغرب : ان التشريع الإسلامي حيٌّ نامٌ متتطور مشتمل على كل ما يبده العقل وتتأقى به قدرة الإنسان ومدنيته .

ولقد حدثني الشقة بأن رجال الشريعة والقانون في مصر انهـم أجمعوا على أن نسبة فقه الإمام مالك في التشريع الفرنسي تبلغ ٩٢ بالمائة . ولا عجب فإن التشريع الإسلامي تشريع جامع محكم مشتمل على جميع المبادئ الالازمة للنهوض الى أرفع درجات الكمال . حيث راعى المشرع فيه حفظ المصالح كما عالج درء المفاسد بطرق آمنة ، مطمئنة ، لا ضرر فيها ولا ضرار ، ورسم للناس منهجا واضحا صريحاً ان أخذوا به أدر كوا سعادة الدارين : دار الدنيا ودار الآخرة ، (من عمل صالحاً من ذكر أو أنشى وهو مؤمن فلنحييئه حياة طيبة ولنجزئنهم أجراً لهم بأحسن ما كانوا يعملون) سورة النحل الآية ٩٨

نعم لقد وضع الاسلام للخلق جميعا نظامهم الاخلاقي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والروحي على شكل أصول عامة وقواعد كلية يمكن العمل بها في كل مكان وكل زمان ، وأنماط امر تفصيلها برسوله الامين ، وبخلفائه المهتدين ، وتابعائهم من المجتهدین والمصلحين . ولقد أثبتت التجارب بالأدلة القطعية ، على أن هذا التشريع ذكي العقلية العربية ، ورفع مستوىها بصورة مباشرة ، كما رفع مستوى العقلية البشرية عن طريق انتشار الدعوة الاسلامية اذنا . الفتح العربي في شرق الارض وغربها .

ويمتاز التشريع الاسلامي بزاياد لم تتوفر فيسائر الشرائع الأخرى . ومن هذه المزايا :

١ - موافقته لمقتضى العقل الراجح والمنطق السليم والفطرة الندية ، فجميع أوامره ونواهيه مبنية على ما تقتضيه العقول ، وتطمئن إليه الضمائر ، وتنصلح به الأحوال ، قال تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا) سورة الاسراء الآية ٣٥ ، ذلك لأن العلم الذي لم يصدر عن صدق السمع وصدق النظر وصدق الشعور قد يؤدي إلى الجحالة وليس بعد الجحالة من شيء . أخطر على أصول الاجتماع والحضارة والمدنية .

٢ - ان التشريع الاسلامي تشريع عالمي يهدف إلى تحقيق العدالة في العالم ، وينظر إلى الناس جميعا على اختلاف ملتهم ونحلهم كوحدة بشرية ، لا فرق بين اجزائها في الحقوق العامة على الأقل . وبهذا الاعتبار يكون التشريع الاسلامي فوق الميول السياسية .

و فوق المذاهب الاقتصادية الناشئة عن رغبات أفراد ينظرون
إلى مصالح أنفسهم ، ولا ينظرون إلى مصالح غيرهم ، فهو تشريع
خلص من الانانية الفردية ، والاجتماعية ، والعنصرية ، وامحت
منه فكرة الاحتكار ، والاستبداد بالناس ، أيًا كان نوعهم وفي
أي مكان من الأرض يستوطنون .

٣ - التشريع الإسلامي لتشريع واقعي ليس فيه افراط ولا تفريط .
لذلك جاءت أحكامه كعلاج لكل ما يمكن أن يصدر عن
الطبيعة البشرية من زيف عن الحق واستهتار بالأنظمة والقوانين .
فوضعت الحدود وأمرت بتنفيذها على اتم وجه ، وأحسن تطبيق .
فإذا نادى المجرمون في الظلم ، ولم تنفع معهم النصيحة ، ولم تؤثر
فيهم الموعظة الحسنة ، وجب على أولى الأمور أن يضربوا على
أيديهم حتى تستقيم نفوسهم ويرجعوا إلى الصراط المستقيم .
ذلك لأن أهداف الإسلام أهداف إنسانية تربوية لا تستبيح
العقوبات ولا تطبق الحدود إلا بقدر ما يدفع الظلم والجرائم .
قال تعالى : (فَإِنْ انتَهُوا فَلَا عَذَابَ عَلَى الظَّالِمِينَ) سورة
البقرة الآية ١٩٣ .

وقال تعالى : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسلْمِ فَاجْنِحْ لَهُمَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ،
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) سورة الانفال الآية ٦٢ .

٤ - ومن مزايا التشريع الإسلامي أن مصادره تدخل في الفاظها
حقائق لا تنتهي حكمتها ولا يبطل معناها منها تقدم الإنسان

وتطورت الحياة فقوله تعالى : (ادفع بالتي هي أحسن) تعبير
بالغ غاية الكمال وجامع لكل أساليب الحكم فهو يطلب من
رسول الله الذي هو قدوة الناس في الحياة أن يكون دفاعه
موسوماً بأحسن ما يقتضيه موقفه الراهن ، ويليه عليه واقعه
الذي هو فيه . فكل دفاع يكسبه نصراً ويضمن له نجاحاً فهو
حسن . وكذلك قوله تعالى : -

(ان الأرض يرثها عبادي الصالحون) ان هذه الآية قانون طبقي
لا يطأه الزمن ولا تغيره الاحوال ، فسيطرة الانسان على الأرض
 واستفادته منها كل ذلك موقوف على مقدار صلاحه لها و تكونه
 من استغلالها ، فهل يستطيع أحد أن يقول ان طائفة من الناس
 أو أمة من الأمم تملك شيئاً يوماً ما وتذموم ملكيتها له وهي
 غير قادرة على صيانته وحمايةه وغير صالحة لاملاكه ؟ لا يجد
 من يقول ذلك وكذلك قوله تعالى : -

(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغروا ما بأنفسهم) ومعنى الآية
 ان الناس اذا لم تعجبهم حالمهم وأرادوا تغييرها بحال أخرى أفضل
 منها فلا يستطيعون ذلك مالم يغروا ما في أنفسهم من خلائق
 ويفعلوا ما في سلو كفهم من اعوجاج .

٥ - ان أحكام التشريع الاسلامي أحكام قاعدة على مراعاة الفضائل
 العامة من الحق والعدل والصدق والامانة والوفاء . ولم تكن
 هذه الفضائل مجرد أقوال تتردد في المحافل الخاصة وال العامة وإنما
 صارت بفضل الاسلام ديناً يتقرب به الى الله وسراجية من

سجيا ياهم الراسخة ، وكذلك كان مقتهم للرذائل فهم يكرهونها ويكرهون المتخلفين بها فالظلم والفساد والخيانة والخداع ونقض المواثيق خصال تنذر بالويل والشبور للافراد والجماعات والامم .

قال الله تعالى : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها اذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) سورة النساء الآية ٥٨ .

وقال تعالى : (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا) سورة الاسراء الآية ٣٥ .

وقال تعالى : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوها بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون) سورة البقرة الآية ١٨٨ .

وقال رسول الله ﷺ : اتقوا الظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيمة . وعن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ قوله : دع ما يربيك الى ما لا يربيك فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة .

٦ - للرأي العام في التشريع الاسلامي منزلة عظيمة ومقدام محمود . فهو مصدر تشريع يمكن الاعتماد عليه والاخذ به اذا كان ذلك الرأي مما تستقيم به الامور وتنصلح به الاحوال ويكون حينئذ السكوت على الباطل مدعاة الى تسرب الخلل والوهن الى أصول الاجتماع . ولقد ذكر بعض الفقهاء ان الرأي العام هو الحارس

اليقظ لكيان الأمة اذا كان مبنياً على بصيرة في القصد ووحدة
في المهد و هو السلطة التي تقوم الحكام والافراد وهو أمضى
سلاح للقضاء على الافات الاجتماعية . ولذلك يعني به الاسلام
و جعله كرقيب يهذب من شذوذ الفرد ويحدّ من غلو الجماعة
حتى جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من اكبر عزائم
التشريع الاسلامي وأعظم أسس الحياة الاجتماعية . الصالحة .

قال رسول الله ﷺ : (من رأى منكم منكراً فليقوم به
بيده وان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع بقلبه وذلك
ضعف الاعيان) .

نعم ان لقول الحق تأثيراً كبيراً في الناس وان فيها خدمة خالصة
للقائمين على مصالح الأمة . فإذا صدق الناصح في أمر دينه كفاه
الله أمر دنياه و اذا تقبلها ذوو السلطان بقلب عامر بالاعيان
والاخلاص كفاهم الله ما بينهم وبين الناس . ومن جميل ما يروى
أن سليمان بن عبد الملك الخليفة الاموي قدم المدينة للزيارة وبعث
إلى أبي حازم . فلما دخل عليه قال تكلم يا أبو حازم قال :

«نعم اتكلم يا أمير المؤمنين ، لا تأخذ الاشياء ، إلا من محلها ،
ولا تصفعها إلا في اهلها ، قال الخليفة : ومن يقوى على ذلك ؟
قال من قلد الله من امر الرعية ما قلدك . قال عطي يا أبو حازم
قال : اعلم ان هذا الأمر لم يصل اليك إلا بموت من كان قبلك
قال مالك لا تجيء علينا ؟ قال : وما اصنع بالمجيء اليك يا أمير

المؤمنين ؟ ان أدنيتني فتنتني وان أقصيتك اخزنتني وليس عندي
ما أرجوكم له ولا عندي ما اخافكم عليه . قال فارفع اليها
 حاجتك قال رفعتها الى من هو أقدر منك عليها فا اعطاني منها
قبلتُ وما معنى رضيت » هكذا يربى الشرع الاسلامي الذين
يأخذون انفسهم به ويتحلقوه بأخلاقه . اما اذا ضعف دينهم - مـ
وفسدة ضمائرهم ولم يصدقوا أولى الامر ولم ينبهوهم الى الحق
ضاع العدل بينهم واصبحوا على شفا جرف من العذاب .

٧ - ان التشريع الاسلامي يهدف دأباً وابداً الى التربية النفسية ،
والى احياء ضمير الفرد والامة ويعمل الناس كيف يحكمون انفسهم
بأنفسهم وما اقامة الصلاة في اوقاتها إلا اسلوب تربوي يرقق
الحس ويهذب النفس ويجعل منها عليهـ ارقـاـ . فالذـي يـناـجـي
ربـهـ خـمـسـةـ اوـقـاتـ صـادـقاـ فيـ نـجـواـهـ لـيـسـ سـهـلاـ عـلـيـهـ انـ يـزـيـغـ عـنـ
الـحـقـ ، وـيـتـبـمـ شـهـوـاتـ نـفـسـهـ ، وـيـبـيـمـ آخرـتـهـ بـدـنـيـاهـ ، فـيـسـتـبـدـلـ
الـذـيـ هـوـ شـرـ بـالـذـيـ هـوـ خـيرـ .

فالتشريع الاسلامي يجعل من الناس ناسا شعارهم في الحياة ان
يؤثروا على انفسهم ولو كانت بهـم خـاصـاـ . وـدـعـاـوـهـمـ فـيـهـ اـ
(ربـناـ لـاـ تـزـغـ قـلـوبـنـاـ بـعـدـ اـذـ هـدـيـتـنـاـ وـهـبـ لـنـاـ مـنـ لـذـكـ رـحـمةـ
انـكـ اـنـتـ الـوـهـابـ) سـوـرـةـ آـلـ عـمـرـانـ الآـيـةـ ٨ـ .

هـكـذـاـ عـلـمـنـاـ اـلـاسـلـامـ اـنـ نـدـعـوـ اـلـىـ غـایـاتـنـاـ بـاـكـرمـ اـسـلـوبـ وـاجـلـ
تعـبـيرـ وـأـشـرـفـ وـسـيـلـةـ . عـلـمـنـاـ اـنـ نـدـعـوـ اـلـىـ سـبـلـ الـخـيـرـ بـاـ تـنـفـتـحـ
لـهـ الـقـلـوبـ الـمـقـفـلـةـ وـتـتـسـمـ بـهـ الـعـقـولـ الـضـيـقـةـ وـتـسـتـجـيـبـ لـهـ الـطـبـائـمـ
الـسـلـيـمـةـ . لـقـدـ مـيـزـ اللـهـ الـإـنـسـانـ عـنـ جـمـيـعـ مـخـلـوقـاتـهـ بـالـعـقـلـ الـمـدـرـكـ

والشعور المرهف ، والضمير الحي ، وحمله خليفة له في الارض ،
يتصرف في كثير من شؤونها بحسب ارادته ، خصه بكل ذلك
لتكون افعاله حسنة كخلقتة ، وتصراطاته حكيمه كعقله ، وغاياته
نبيلة كضميره لا تهدف إلا الى الاصلاح ولا تتوجه إلا النفع
العام . الانسان بحكم تلك الموهب الدانية التي اودعها الله فيه
جدير ان تكون افعاله فوق مستوى الشبهات واسمى من افعال
سائر الكائنات . وإلا فا الفرق بينه وبين العجماء اذا كان
يستبيح لنفسه ان يقتل باخرين . الانسان ، فيسلبه ماله ودمه
وعرضه لمجرد رغبة في نفسه ، ونزاوة في جبلته ، كما تفعل الامم
الاستعمارية اليوم .

الفصل الخامس

أسماء القرآن وموارد اشتقاقها

القرآن مصدر قرأ . تقول : قرأ الشيء يقرؤه قرأ ، وقراءة أو
قرأنا . بمعنى جمع الشيء المقرأ . وضم بعضه إلى بعض .
(دائرة المعارف لفريدي وجدي مادة قرأ) .

والقرآن الكريم اسم علم لكتاب الله المنزل على رسول الله
محمد بن عبد الله ﷺ . وهو آخر الكتب السماوية قال تعالى : (إنا نزلناه
قرأنا عربياً لعلكم تعقلون) سورة يوسف الآية ٢ .

ويسمى الذكر لقوله تعالى : (وانزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس
ما نزل إليهم ولعلمهم يتذكرون) سورة النحل الآية ٤٤ .

ويسمى الفرقان لقوله تعالى : (تبارك الذي نزل الفرقان على
عبده ليكون للعالمين نذيرا) سورة الفرقان الآية ١ .

ويسمى الكتاب لقوله تعالى : (وانزلنا عليك الكتاب
والحكمة وعلمه ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) سورة
النساء الآية ١١٣ .

ومن أسمائه التنزيل لقوله تعالى : (وانه لتنزيل رب العالمين)
سورة الشعراء ١٩٢ .

(هذه الاسماء هي الشائعة المشهورة . غير أن بعضهم بالغ في تعداد اسماء القرآن حتى ان بعضهم أوصلها الى خمسة وخمسين اسمأ وبعضهم أوصلها الى نيف وتسعين . ولا ريب انهم جمعوا بين التسمية والوصف)^(١) .

تفسير القرآن

التفسير لغة : هو الإيضاح والتبيين والكشف عن المعاني .
واصطلاحاً : هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، ومدلولاتها ، وأحكامها ، الأفرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حالة الأفراد والتركيب^(٢) .

وعرفه الزركشي : بأنه علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه^(٣) .
وقال بعضهم : التفسير علم يبحث فيه عن احوال القرآن المجيد من حيث دلائله على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية^(٤) .

وعرفه بعضهم ايضاً : بأنه علم نزول الآيات ، وشُؤونها واقاصيصها والأسباب التي دعت إلى نزولها ، ثم ترتيب مكياها ومدانيها ، ومحكمها ، ومتشاربهما ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصتها وعامتها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها ، وحلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها ، وامرها ونهيها ، وعبرها وامثالها^(٥) .

(١) كتاب مباحث علوم القرآن من ١٢ للدكتور صبحي الصالح .

(٢) أبو حيان التوحيدي في البحر الحبيط .

(٣) كتاب الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٧٤ .

(٤) كتاب منهج الفرقان ج ٢ ص ٦ .

(٥) الاتقان ج ٢ ص ١٧٤ .

هل فسر الرسول القرآن لفظاً ومعنى

بالنظر لقوله تعالى : (وَانزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ ، لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا .
إِلَيْهِمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

فإن منطق الآية الكريمة يقضي بأن الرسول قد بين للناس جميع القرآن معانيه وألفاظه ، وأوامره ونواهيه ، قصصه وحكماته .
وإلا كان (حاشاه عن التقصير) مقصراً في البيان الذي كلفه الله به .
وكل قوله تعالى : (كِتَابٌ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مُبَارِكٌ لِيَدِيرُ وَآيَاتٍ)
وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن .

ولكن من القرآن الكريم ما هو واضح معروف لدى أصحاب النبي بطبيعة معرفتهم بأسرار اللغة العربية . ومنه ما هو يحتاج إلى
البيان والتوضيح .

من هنا جاز لنا أن نقول : إن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، كان يفسر الغامض الذي يحتاج إلى التفسير ويترك ما لا يحتاج إليه .

ذكر الاستاذ محمد حسين الذهي في كتابه (التفسير والمفسرون)
(الجزء الاول) ان عبدالله بن حبيب التابعي المقرىء المتوفى سنة
٧٢ هـ . قال : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن الكريم كثمانين بن
عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما ، انهـم كانوا اذا تعلموا من
النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلام
والعمل . قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً .

— لقد وردت هذه التعاريف جميعها في كتاب التفسير والمفسرون للإسناد محمد حسين
الذهبي ج ١ ص ١٤ و ١٥ .

ولمذا كانوا يبقون مدة طويلة حتى يحفظوا السورة . ثم ذكر الاستاذ الذهبي ما اخرجه الامام احمد وابن ماجه . عن عمر رضي الله عنه انه قال :

من آخر ما نزل آية الربا . وان رسول الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها . وهذا يدل بالفحوى على انه كان يفسر لهم كل ما نزل ، وانه اذا لم يفسر هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها ، والالم يكن للشخصيص بها وجه .

وكل ما ذكرنا من لزوم فهم القرآن ضرورة لا ينفي ان فيه مالا يعرف معناه لأنّه لا يعلمه إلا الله . فأبقاءه سبحانه وتعالى سراً مطويأً في قبضة الغيب حتى يأتي الزمان الذي ينكشف فيه عنه النطاء للناس فيتذمرون ، ويعلمون بحسب الحاجة ، وعن طريق الاجتهاد ، مثل قوله تعالى : (والارض جيماً قبضته يوم القيمة ، والسماء مطويات بيده سبحانه وتعالى عما يشركون) سورة الزمر الآية ٦٨ . وقوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) سورة طه الآية ٦ .

فإن العقل البشري لا يستطيع أن يصور لنفسه الكيفية التي تكون الأرض والسماء مطويات في قبضته ، كما لا يستطيع أن يمثل لنفسه مثلاً للرحمن مستولياً على عرشه دون أن يجسّد الذات الالهية تجسيداً يهوي بنا إلى هوة الشرك والضلالة . العياذ بالله .

ومثل هذه الآيات التي لم يعرف معناها بالضبط فواحة السور كقوله تعالى :

كم يغض ، وحم عسق ، وطسم ، والمص ، والمر ، والرم ، وغيرها . فهي الأخرى من الالفاظ القرآنية المختلف في معاناتها .

جا، في تفسير فضيـلة الاستاذ محمود شلتوت شيخ الجامـع
الاـزهـر ص ٦٩ قوله :

ان في فواتح بعض السور سراً تقـرـر دون ادرـاكـه العـقولـ، لـانـه
صـنـعـ الحـكـيمـ الحـبـيرـ الـذـيـ لاـيـضـيـعـ أـمـرـاـ علىـ محـضـ المـصادـفـةـ ثـمـ قـالـ :
ولـعلـ منـ الحـيـرـ لـلـنـاسـ أـنـ يـوـفـرـواـ عـلـىـ انـفـسـهـمـ عـنـاـ، الـبـحـثـ فيـ
معـانـيـ هـذـهـ الـحـرـوفـ، وـاسـرـاـرـ تـرـتـيـبـهـاـ، وـاخـتـيـارـهـاـ عـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ .
وـانـ يـكـفـواـ عـنـ الـخـوـضـ فـيـاـ لـاـ سـبـيلـ إـلـىـ عـلـمـهـ، وـلـمـ يـكـفـهـمـ اللـهـ بـهـ ،
وـلـمـ يـرـبـطـ بـهـ شـيـئـاـ مـنـ اـحـكـامـهـ أـوـ تـكـالـيفـهـ . وـحـسـبـهـمـ اـنـ يـعـرـفـواـ اـنـ
الـاتـيـانـ بـهـذـهـ الـفـوـاتـحـ عـلـىـ هـذـاـ اـلـسـلـوبـ الـذـيـ لـمـ يـكـنـ مـأـلـوـفـاـ فيـ
الـكـلـامـ ، وـلـاـ مـعـرـوفـاـ عـنـدـ الـعـربـ ، كـانـ قـرـعاـ لـاسـمـاعـ اوـلـئـكـ
الـجـاهـدـينـ وـكـانـ هـزاـ لـقـلـوبـهـمـ وـدـفـعـاـ بـهـمـ إـلـىـ الـقـاءـ، السـمـعـ وـتـدـيرـ
ماـ يـلـقـىـ إـلـيـهـمـ .

ميـزـاتـ التـفـسـيرـ فـيـ الـمـرـحـلـةـ الـأـوـلـىـ

ذـكـرـ الاـسـتـاذـ الذـهـيـ فـيـ الصـفـحةـ ٧٩ـ مـنـ كـتـابـهـ التـفـسـيرـ وـالـمـفـسـرـونـ
انـ التـفـسـيرـ فـيـ هـذـهـ الـمـرـحـلـةـ يـتـصـفـ بـالـصـفـاتـ الـآـتـيـةـ :
اـوـلاـ - اـنـ الـقـرـآنـ لـمـ يـفـسـرـ جـيـعـهـ وـاـنـاـ فـسـرـ مـنـهـ مـاـ غـمـضـ فـهـمـهـ . وـهـذاـ
الـغـمـوضـ كـانـ يـزـدـادـ كـلـاـ بـعـدـ النـاسـ عـنـ عـصـرـ النـبـوـةـ وـالـصـحـابـةـ .
فـكـانـ التـفـسـيرـ يـتـزـاـيدـ تـبـعـاـ لـتـزـاـيدـ هـذـاـ الـغـمـوضـ إـلـىـ أـنـ تـمـ تـفـسـيرـ
آـيـاتـ الـقـرـآنـ جـيـعـهـاـ .
ثـانـياـ - كـانـوـاـ كـثـيرـاـ مـاـ يـكـتـفـونـ بـالـعـنـيـ الـاجـمـاليـ ، وـلـاـ يـلـازـمـونـ انـفـسـهـمـ

بتفهم معانيه تفصيلاً . فيكفي ان يفهموا من مثل قوله تعالى
وفا كهه وابا ا انه تعداد لنعم الله تعالى على عباده .

ثالثاً - ندرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية من الآيات القرآنية
وعدم وجود الانتصار للمذاهب الدينية بما جاء في كتاب الله
نظراً لاتحادهم في العقيدة . ولأن الاختلاف المذهبي لم يقم
إلا بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم .

رابعاً - لم يذَّون شيئاً من التفسير في هذا العصر . لأن التدوين
لم يكن إلا في القرن الثاني ، وأما تفسير عبد الله بن عباس فانه
لاتصح نسبة اليه بل جمعه الفيروزابادي ونسبة اليه معتمداً
في ذلك على رواية غير مقطوع بصحتها ، من أهل العلم اليقيني
في الشؤون القرآنية .

خامساً - لم يتعدد التفسير في هذه المرحلة شكلاً منظماً بل كانت
هذه التفسيرات تروى منشورة لآيات متفرقة كما كان شأن
في رواية الحديث .

أكابر المفسرين من أصحاب الرسول

علي بن أبي طالب وتفسيره :

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، أول من أسلم من الأحداث ، وحامل راية
الاسلام في موقعة خيبر ، وهو الذي دعا له الرسول بقوله : (اللهم
ثبت لسانه واهد قلبه) وهو الذي قال له الرسول : أنت أخي في الدنيا
والآخر ، ثم هو رابع الخلفاء الراشدين .

كان أبو الحسن بحراً في العلم فذاً في قوة البيان ذا عقل قضائي، و كثيراً ما كان يرجع الصحابة إليه في فهم ما خفي عليهم من الأمور. قيل له طاء أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال : لا والله . لا أعلم ، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال : اذا ثبت لنا الشيء عن علي لم نعدل عنه إلى غيره . وقال : كان أعلم الصحابة بواقع التنزيل ومعرفة التأويل ، وجميع ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

عبد الله بن عباس و تفسيره

ابن عباس فتى من فتيان بيت النبوة . له قريحة وقاده ، وعقل راجح ، و أيام داسخ ، ودين متين . ولقد اثنى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال : إن ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق . وكذلك اثنى عليه بن عمر فقال : إن ابن عباس من أعلم أمة محمد بما نزل على محمد . ويقول عنه تلميذه مجاهد إن ابن عباس إذا فسر شيئاً رأيته عليه النور .

روى الأعمش عن أبي وائل أن سيدنا عليه استخلف عبد الله ابن عباس رضي الله عنها على الموسم فقرأ في خطبته سورة البقرة ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا ، وكان عمر رضي الله عنه يجلسه في مجلسه مع كبار الصحابة مع حداثة سنّه ، وكان إذا جاءته الأقضية المضلة يرسل إليه ويقول له فأنت لها ولا مثلكما . وكان ابن عباس رضي الله عنه يلقب بالحبر وبالبحر لكثرة علمه بمعاني القرآن .

له جزء كبير في تفسير القرآن، طبع ببصر صراراً باسم تنوير المقىاس من تفسير ابن عباس، جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادي صاحب كتاب القاموس.

عبدالله بن مسعود وتفسيره

هو عبد الله بن مسعود من أوائل أصحاب النبي لزم بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظن أنه من أهل البيت، هاجر إلى الحبشة، وصل إلى القبلتين، وشهد بدرًا وأحدًا وبيعة الرضوان. وشهد موقعة البراءة بعد وفاة رسول الله عليه السلام. وكان من أحافظ الصحابة لكتاب الله، وكان رسول الله عليه السلام يحب أن يسمع منه القرآن. وقد أخبر بذلك عن نفسه فقال: قال لي رسول الله: أقرأ على سورة النساء، فقرأتها حتى إذا بلغت (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلا، شهيدا) فاضت عيناه عليهما السلام.

ولما سيره عمر رضي الله عنه إلى الكوفة كتب إلى أهلهما أني قد بعثت عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً وزيراً وهما من النجاشياء من أصحاب رسول الله عليه السلام من أهل بدر فاقتدوا بهما واطيعوا واسمعوا قولهما وقد آثرتكم بعدهما على نفسي.

ولما قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه الكوفة حضر عنده قوم، وذكروا له ابن مسعود. فقالوا له: يا أمير المؤمنين، ما رأينا رجلاً أحسن خلقاً، ولا أرقى تعلياً، ولا أحسن مجالسة، ولا أشد ورعاً من ابن مسعود، قال علي رضي الله عنه: إن شدكم الله أهوا الصدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم. قال: اشهدوا أني أقول ما قلت وافضل.

وصح عن ابن مسعود انه قال : اخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة . وقال مسروق : كان عبد الله بن مسعود يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عاملا النهار .

وعلى الجملة فان ابن مسعود من اعلم الصحابة بكتاب الله تعالى واعرفهم بمحكمه ومتناسبه ، وحلاله وحرامه ، وقصصه وامثاله واسباب نزوله . قرأ القرآن فأحل حلاله وحرم حرامه . فقيه في الدين عالم بالسنة بصير بكتاب الله .

* * *

هذه هي صفات المرحلة الاولى من تفسير القرآن في عصر النبوة والصحابة أما تفسير القرآن في مرحلته الثانية فقد جعلها العلماء في عصر التابعين الذي تلقو غالب معلوماتهم عن الصحابة عن الرسول فتفسير هؤلاء ، الاجلاء ، هـ و ايضاً لم يأخذ شكله الكامل ، بل ظلت تتناقل عن طريق الرواية حتى جاءت المرحلة الثالثة . وهي مرحلة التدوين . تلك المرحلة التي اخذ الناس يدونون التفاسير من افواه الشفافات ويتتوسعون فيها على مر العصور حتى بلغت الدرجة التي بلغتها كتب التفسير المتدالة بين ايدي المسلمين . وسيظل هذا التوسيع آخذآ طريقة حتى يصل إلى الكتاب ملئه . وحتى يقضى الله أمرآ كان مفعولاً .

ومن اشتهر بالتفسير من التابعين سعيد بن جبير ومجاهد بن جبر . وعكرمة مولى بن عباس من اهل المغرب . وطاوس بن كيسان البهاني . وعطاء بن أبي رباح . وزيد بن أسلم ، ورفيع بن مهران الرياحي . ومحمد بن كعب القرظي . وعلقمة بن قيس ، ومسروق بن

الاجدع الهمداني الكوفي . و عامر الشعبي ، والحسن البصري . و قتادة
ابن دعامة السدوسي .

أما كتب التفسير المأثورة التي الفت في عصر التدوين :

١— جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبرى . المتوفى
سنة ٥٣١٠ .

٢— بحر العلوم لأبي الليث السمرقندى المتوفى سنة ٥٣٧٣ .

٣— الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي اسحق الشعابي المتوفى
سنة ٥٤٢٧ .

٤— معالم التنزيل لأبي محمد الحسين البغوى المتوفى سنة ٥١٠ .

٥— المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الاندلسي
المتوفى سنة ٥٤٦ .

٦— تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء الحافظ بن كثير المتوفى
سنة ٥٧٧٤ .

٧— الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الشعابي المتوفى
سنة ٨٧٦ .

٨— الدر المنثور في التفسير المأثور لجلال الدين السيوطي المتوفى
سنة ٩١١ .

الفصل السادس

ظاهرة الوحي

الوحي لغة الاشارة والايما، والكلام الخفي ، وفي التنزيل العزيز (فأوحى إليهم أن سبحووا بكرة وعشيا) سورة مريم الآية ١١ و قوله تعالى : (فأوحينا إليه ان اصنع الفلك بأعيننا ووحينا) سورة المؤمنون الآية ٢٧ . و قوله تعالى : (وأوحى ربكم الى النحل ان اتخذني من الجبال بيوتاً) سورة النحل الآية ٦٨ . و قوله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً فيوحي بأذنه ما يشاء انه عليٌّ حكيم) سورة الشورى الآية ٥١ .

والوحي في اصطلاح علماء الشرع هو كلام الله تعالى المنزلي على نبيٍّ من انبئائه .

ونقل المرحوم محمد فريد وجدي في دائرة المعارف عن رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ان الوحي عرفة ان مجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من الله بواسطه أو بغير واسطة ، وبصوت يتمثل لسماعه أو بغير صوت .

والفرق بين الوحي والالهام . هو ان الالهام وجدان تستيقنه

النفس ، وتنساق الى ما يطلب على غير علم منها من أين اتى ، وهو أشبه بوجдан الجوع والعطش ، والحزن والسرور^(١) .

واما امكان حصول هذا النوع من العرفان وانكشاف ماغاب من مصالح البشر من عامتهم لمن يختصه الله بذلك وسهولة فهمه عند العقل فلا اراده مما يصعب ادراكه ، إلا على من يريد أن لا يدرك ، ويحب ان يرغم نفسه الفهامة على أن لا تفهم .

ثم ان درجات العقول متفاوتة يعلو بعضها بعضاً ، وان الاذنى منها لا يدرك ما عليه الاعلى ، وان ذلك ليس لتفاوت المراتب فى التعاليم فقط ، بل لابد معه من تفاوت فى الفطر التي لا يدخل فيها الاختيار إذ أن من النظريات عند بعض العقلاه ما هو بديهي عند من هو أرقى منه ، ولا تزال المراتب ترتقي فى ذلك الى ما لا يحصره العدد . وان من أرباب المهم و كتاب النقوس من يريد قريباً فيسعى اليه ثم يدركه ، والناس دونه ينكرون بدايته ويعجبون منه عند بلوغه النهاية . ثم يألفون ما صار اليه كأنه من المعروف الذي لا ينمازع فيه . وما صعود بعض الناس فوق القمر إلا دليل قاطع من الأدلة على ان فى الامكان ان يتحقق أمر لم يكن فى الحسبان تتحققه ، وهكذا شأن الوحي لدى الانبياء والمرسلين .

انه التجلي الالهي في اروع مراتب الاتصال واقدس وسائل الالهام .

(١) الجزء العاشر من دائرة المعارف لغريفيد وجدي من ٧٠٧ في مادة الوحي .

بعض الاحاديث التي وردت عن كيفية الوحي

عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة فكثرة ثلاثة عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالمحاجة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين .
عن عائشة رضي الله عنها قالت : أول ما بده به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حجب إليه الملا ، بغار حراء ، فيتحجّث فيه الليالي ذات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتوسد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها . فيتزود منها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، بفمه الملك فقال : أقرأ . قال : ما أنا بقاري . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : أقرأ . قلت ما أنا بقاري . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : أقرأ . فقلت : ما أنا بقاري . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : (أقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علقم ، أقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم) سورة الفاتحة الآية ٢ . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده . فدخل على خديجة رضي الله عنها . فقال : زملوني ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال خديجة ، وخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي . فقالت خديجة : كلام الله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم ولتصدق الحديث وتحمل الكل ، وتكتسب المدحوم ، وتقرئ الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل ابن عم خديجة ، فقالت له : يا ابن عم ،

اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى . فقال ورقة : هذا الناموس الذي انزله الله على موسى . ليتني أكون حياً إذ ينجزك قومك . فقال رسول الله ﷺ : ألم يخرجني هم ؟ قال : نعم . لم يأتك رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودي وإن يدر كني يومك انصرك نصرًا مؤزرًا .^(١)

وبحل القول في معنى الوحي وصفته تتلخص في أربع مراتب :
 المرتبة الأولى : أن يخاطب النبي أو الرسول في النوم ، وتلك هي الرؤيا الصادقة كما ورد عنه عليه أفضل الصلاة والسلام في قوله : (رؤيا الأنبياء، وهي) . ونحن معاشر الأنبياء، تنا مأعينا ولا تنا مقلوبينا .^(٢)

المرتبة الثانية : أن يلقى ما يراد القاؤه على قلبه من غير وساطة وهو يقطنان ، وذلك هو المسمى بالالمام . ويستدلون بقوله تعالى في الكتاب (نزل به الروح الأمين على قلبك) سورة الشعراء الآية ١٩٤ .

المرتبة الثالثة : أن يرسل الله إليه رسولًا يخبره بما يريد اعلامه إياه ، وهو المسمى بالملائكة ، فيحدثه ، ويصف القرآن هذا الرسول بقوله : (انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثم امين) سورة التكوير الآية ٢٠

المرتبة الرابعة : ان الله سبحانه وتعالى يسمع رسالته كلامه

(١) دائرة المعارف لفريد وجدي ج ١٠ ص ٧١٢ .

(٢) تاريخ الامم الاسلامية لمحمد المفرري ج ١ ص ١٠٢ .

مبـاشـرة كـا حـصـل لـموـسى عـلـيـه السـلام مـسـتـدـلـين بـقولـه تـعـالـى :

وـهـل أـتـاكـ حـدـيـث مـوـسـى إـذ رـأـى نـارـاً فـقـال لـأـهـلـه اـمـكـثـوا إـنـي
آـنـسـت نـارـاً لـعـلـي آـتـيـكـ مـنـهـا بـقـبـيس أو أـجـدـ عـلـى النـارـ هـدـى . فـلـمـا أـتـاهـا
نـوـدـي يـا مـوـسـى : إـنـي أـنـا رـبـكـ فـأـخـلـع نـعـلـيـكـ إـنـكـ بـالـوـادـي المـقـدـسـ
طـوـيـ ، وـإـنـا اـخـتـرـتـكـ فـأـسـتـمـع لـمـا يـوحـيـ) سـوـرـة طـهـ الآـيـة ١٢ـ .

الفصل السابع

تنجيم القرآن

يراد بتنجيم القرآن نزوله على النبي ﷺ في اوقات متفرقة وفي امكانة متعددة جرياً على سنة التطور الذي تخضع له جميع الاشياء صغيرها وكبيرها . فالحيوانات والنباتات والاجمادات تجري وفق هذا الناموس الاعظم .

والانسان ليس بدعاً عن هذه الكائنات فهو جزء منها ينشأ بسيطاً ساذجاً ثم يأخذ في النمو شيئاً فشيئاً حتى يبلغ كماله .
قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلاة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علة ، ثم خلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسومنا العظام لثماً ، ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسنُ الخالقين) سورة المؤمنون الآية ١٥ .

ومثل بدن الانسان في هذا التطور عقله وغرائزه ومعتقداته مصدق ذلك قول الله تعالى على لسان سيدنا ابراهيم :

(و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والارض ول يكون من الموقنين . فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً ، قال : هذا ربي . فلما أفل قال : لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال : هذا ربي فلما أفل

قال لئن لم يهدني رب لا كون من القوم الظالمين . فلما رأى الشمس
بازغة قال : هذا أكبـر ، هذا أكبـر ، فلما أفلت قال : يا قوم اني بريء
مما تشرـكـون . إني وجهـت وجهـي للذـي فـطـر السـمـاـوات والـأـرـضـ حـنـيفـاـ
وـمـاـ أـنـاـ مـنـ الـمـشـرـكـينـ) سـورـةـ الـأـنـعـامـ الآـيـةـ ٧٩ـ .

وعلى هذه السنة الكونية انزل الله الاديان تباعاً يكمل بعضها
بعضاً واتهـماـ بـدـيـنـ الـاسـلـامـ وـخـتـمـهاـ بـرـسـالـةـ خـاتـمـ النـبـيـنـ وـرـسـولـ رـبـ
الـعـالـمـيـنـ . قال تعالى : (الـيـوـمـ أـكـلـتـ لـكـمـ دـيـنـكـمـ وـاتـمـتـ عـلـيـكـمـ نـعـمـيـ)
وـرـضـيـتـ لـكـمـ الـاسـلـامـ دـيـنـاـ) سـورـةـ الـمـائـدـةـ الآـيـةـ ٥ـ .

نستشفـ منـ خـالـلـ هـذـهـ الـآـيـاتـ الـكـرـيمـ طـفـولـةـ الـإـنـسـانـ فيـ
معـقـدـهـ وـتـدـرـجـهـ فـيـهـ وـاتـخـاذـهـ عـدـدـةـ أـرـبـابـ منـ دـوـنـ اللهـ مـنـ عـبـادـةـ
الـنـجـمـ إـلـىـ عـبـادـةـ الـقـمـرـ إـلـىـ عـبـادـةـ الشـمـسـ .

ولـوـ تـعـمـقـنـاـ فـيـ تـارـيـخـ الـأـدـيـانـ وـاطـلـعـنـاـ عـلـىـ الـأـدـوـارـ الـقـديـعـةـ الـتـيـ
سـبـقـتـ عـهـدـ سـيـدـنـاـ إـبـرـاهـيمـ لـعـلـمـنـاـ أـنـ الـإـنـسـانـ مـرـتـ عـلـيـهـ مـلاـيـنـ السـنـينـ
كـانـ يـتـنـقـلـ فـيـهـ بـيـنـ أـنـوـاعـ الـدـيـانـاتـ ، وـأـفـاطـ مـنـ الـعـبـادـاتـ ، وـظـلـ
فـيـ هـذـهـ الـمـتـاهـةـ اـدـهـارـأـ طـوـيـلـةـ حـتـىـ انـزـلـ اللهـ عـلـىـ الـإـنـسـانـ عـنـ طـرـيقـ
الـأـنـبـيـاءـ ، الـزـبـورـ وـالـتـوـرـةـ ، ثـمـ الـأـنـجـيـلـ ، ثـمـ الـفـرـقـانـ . ذـلـكـ لـأـنـ اللهـ
أـعـلـمـ بـمـقـتضـيـاتـ الـأـحـوـالـ ، وـأـدـرـىـ بـمـاـ تـتـحـمـلـهـ الـنـفـوسـ الـبـشـرـيـةـ مـنـ
الـتـغـيـيرـ ، وـالـتـبـدـيـلـ ، وـالـتـطـوـرـ ، وـلـاـسـيـماـ فـيـهـ يـتـعـلـقـ بـالـشـؤـونـ الـعـقـائـدـيـةـ .

وـعـلـىـ هـذـاـ الـاسـاسـ مـنـ التـدـرـجـ وـالـتـطـوـرـ فـيـ التـشـريعـ انـزـلـ اللهـ
كـتـابـهـ الـعـزـيزـ عـلـىـ رـسـوـلـ الـأـمـيـنـ مـنـجـاـ بـحـسـبـ الـوـاقـعـ وـالـاحـدـاثـ
لـيـكـونـ الرـسـوـلـ عـلـىـ اـتـصـالـ دـائـمـ بـهـذـاـ الـأـشـرـاقـ الـأـلـهـيـ ، فـيـقـوـيـ بـهـ
قـلـبـهـ ، وـأـشـتـدـ عـزـانـهـ ، وـيـصـدـعـ بـدـعـوـتـهـ وـيـصـمـدـ فـيـ جـهـادـهـ . قالـ تعالىـ :

(وكلا نقص عليك من انباء الرسـل ما نثبت به فـوادك) . سورة
يوسف الآية ١٢١ .

وقال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ،
وان لم تفعل فـا بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ، ان الله
لا يهدي القوم الكافرين) سورة المائدة ٧١ .

هذا من جهة الرسول صلوات الله وسلامه عليه . أما من جهة
من وجهت اليه الدعوة من الناس فـان التدرج في تبليغ الرسالة اليهم
يبعد عنهم المشقة ، وينفف عنهم التكاليف ، ويسهل عليهم مؤنة
القبول . لأن الاوامر والنواهي اذا جاءت جملة واحدة قد تحدث
في النفوس عجزاً عن القيام بها والنهوض بأعبانها . بل ربما تحدث ردّ
 فعل قوي يؤدي الى عكس المطلوب ، مصداق ذلك ما اخرجه
البخاري عن السيدة عائشة أم المؤمنين انها قالت : اـنما نـزل أـول ما
نزل منه سـورة من المـفصل . فـيه ذـكر الجـنة والنـار . حتى اذا ثـاب
الناس الى الاسلام نـزل الحـلال والحرـام . ولو نـزل أـول شيء (لا تـشربوا
الخـمر) لـقالوا لا نـدع الخـمر ابداً . ولو نـزل (لا تـزنوا) لـقالوا لا نـدع
الزنـا ابداً .^(١)

وهـذه حـقيقة تـؤيدـها العـلوم الـحـدـيـثـة الـمـعـنـيـة بـعـلـوم النـفـس وـعـلـوم
الاجـتـمـاع وـغـيرـها .

وتـشيـاً مع هـذه الحـقـيقـة الـكـبـرـى اـقتـضـت سـنة الله تـعـالـى أـن يـنـزـل
آـيـات كـتابـه الـكـرـيمـ متـفـرـقة في ثـلـاثـ عـشـرـة سـنة في مـكـة الـمـكـرـمة

(١) في تـفسـير للـنـار جـ ٢ من ٤٩ وـ جـ ٧ من ٢١٩ الحـكـمة في تـحـريم الخـمر بـالـتـدـرـيج

وعشر سنين في المدينة المنورة . وسموا الآيات التي نزلت قبل الهجرة مكية وعددها ثلث وتسعون سورة . والآيات التي نزلت بعد الهجرة سموها مدنية وعددها اثنان وعشرون سورة . ومنها اكبر سور القرآن وهي :

- (٢) البقرة (٣) آل عمران (٤) النساء (٥) المائدة (٨)
 - الأنفال (٩) التوبة (٢٤) النور (٢٣) الأحزاب (٤٧) القتال
 - (٤٨) الفتح (٤٩) الحجرات (٥٧) الحديد (٥٨) المجادلة (٥٩)
 - الحشر (٦٠) المتحنة (٦١) الصف (٦٢) الجمعة (٦٣) المنافقون
 - (٦٤) التغابن (٦٥) الطلاق (٦٦) التحرير (١٠٠) النصر . وما عدا ذلك فهو مكي . وأهم ما جاءت به الآيات المكية هو :
- ١ - التوحيد ورفض الاوثان والاصنام فلا يكون بين العبد وبين ربه واسطة .
 - ٢ - اثبات يوم آخر يجازي فيه كل امرى . بعمله ان خيراً فخير وان شرًّا فشر .
 - ٣ - تبيان الخصال والملكات في معاملة الناس بعضهم مع بعض .
 - ٤ - عبادات عملية تربطهم بالله وتوجههم نحو الخير .
 - ٥ - الاذن لهم بالجهاد وقتل المشركين الذين اصرروا على الكفر ووطدوا انفسهم على محاربة الرسول .

أسباب النزول

ان معرفة نزول الآيات القرآنية ضرورية جداً لأنها تلقى ضوءاً قوياً على فهم المعنى ، وتكشف لنا عن حقيقة القصد المراد من بعض آيات التنزيل .

جا، في كتاب مباحث علوم القرآن نقاًلا عن كتاب الاتقان
ج. ١ ص ٤٨ ان ابن تيمية قال : معرفة سبب النزول يعين على فهم
الآلية . فإن العلم بالسبب يورث العلم بالسبب ، وقال الواحدي :
لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها .
وقال ابن دقيق العيد : معرفة سبب النزول طريق قوي في
فهم معاني القرآن . انتهى .

على ان كثيراً من الآيات الكريمة انزلت ابتدأ دون ان
يكون هناك سبب للنزول غير الارادة الربانية ، كالآيات المشتملة على
قصص الامم الغابرة ، او وصف بعض الواقع الماضية ، او الاخبار
الغيبية المستقبلة ، او تصوير قيام الساعة ، او مشاهد القيمة ، او
وصف احوال النعيم والعذاب .

وأعود فأقول ان معرفة هاتيكم الاسباب فضلاً عن فوائدها
الإيجابية في فهم المعاني القرآنية لاتدع مجالاً لتشويه الاحداث
وتزييف حقائق التاريخ ، والنيل من جوهر الاسلام ومكانة
رجالاته . ولذلك يعني كثير من الصحابة والتبعين وتابعهم بأسباب
النزول . فمن الذين عنوا من الصحابة أبو بكر الصديق ، وعمر بن
الخطاب ، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ،
وطلحنة بن عبيد ، وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص ، وابوهريدة
وعبد الرحمن بن عوف ، وابو عبيدة عامر بن الجراح وبلال الحبشي ،
ومعمر بن ياسر ، والارقم بن اسد المخزومي ، وابن عباس وابن عمر
وابن الزبير وعاصم بن عدي ، وابن مسعود ، وزيد بن حارثة ،

والسيدة خديجة بنت خويلد والسيدة أم سلمة ، والسيدة عائشة الصديقة أمهاط المسلمين رضي الله عنهم وعنهن أجمعين ٠

أما الذين عنوا بمعرفة أسباب النزول من التابعين فنهم : عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، والحسن البصري ، وسعيد بن المسيب ، والضحاك ٠

ان هؤلاء الاجلاء بعض من صح اخذهم عن الصحابة ،

وغيرهم كثير ٠^(١)

والآيات المترلة لأسباب لا يمكن الاحاطة بها ، لكثرتها من جهة ، واختلاف العلماء في أسبابها من جهة أخرى . ثم ان الآيات المسوبة يجحب أن تكون متضمنة لها أو مجيبة عنه ، أو مبنية حكمه أيام وقوعه ٠

قال الواعدي في أسباب النزول (ولا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع من شاهدوا التنزيل ، ووقف واعلى الأسباب ، وبحثوا عن علمائها) ٠

وعملها السلف الصالح كانوا يتشددون كثيراً في الروايات المتعلقة بأسباب النزول . فهذا محمد بن سيرين البصري المشتهر بالحديث ولتعبر الرواية الذي كان امام عصره في علوم الدين . يقول : سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال : (اتق الله ، وقل سداداً . ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن) ٠

ويقول الدكتور صبحي الصالح صاحب كتاب مباحث في علوم

(١) كتاب الانقاض في علوم القرآن ج ١ من ٥٣ .

القرآن : ان هذا الورع لم يكن ليمنعهم من قبول اخبار الصحابة في مثل هذه الموضوعات . وحيجتهم في هذا لا تقبل الجدل . فهم يرون ان قول الصحابي (فيما لامجال للرأي والاجتهاد فيه . بل عمدته النقل والسماع) محمول على سماعه من النبي ﷺ . لأنه يبعد جداً ان يقول ذلك من تلقـاً ، نفسه . ولذلك قرر الحاكم و ابن الصلاح وغيرها في علوم الحديث ان الصحابي الذي شهد الوحي والتزيل اذا اخبر عن آية انها نزلت في كذا فانه حديث مسنـد ، له حكم الحديث المرفوع .

وليس من الرواية الصحيحة في هذا المجال قول التابعي إلا إذا اعتقد بحديث مرسلا آخر رواه أحد أئمة التفسير الذين ثبتوا خذلهم عن الصحابة.

وعبارة الرواية الصحيحة في سبب النزول اما نص في بيـان
السبب واما محتملة له ولسواء . فاذا صرـح الراوي بـلفظ السـبـب فـقال
(سبـب نـزـول هـذـه الـآـيـة كـذـا) (أو سـئـل عـلـيـه السـلام عـن كـذـا ،
فـنـزـلت آـيـة كـذـا) فـذـلـك نـص وـاضـح فـي السـبـبـيـة وـاما اـذـا قـال اـحـد
الـراـوـيـيـن (نـزـلت الـآـيـة كـذـا) غـير مـصـرـح بـلـفـظ السـبـبـيـة ، وـقـال الـآـخـر
(سبـب نـزـول الـآـيـة فـي كـذـا) بـهـذـا النـص الـصـرـيـح فـانـ المـعـول عـلـيـه
ما كانـ نـصـا فـهـو اـوـلـى بـالـتـقـديـم مـا كانـ محـتمـلا .

الفصل الثامن

جمع القرآن وكتابته وحفظه

كان القرآن الكريم زمن رسول الله ﷺ مكتوبًا في الرقاع ،
والعسب ، واللخاف ، والاقتاب . ومحفوظاً في صدور القراء ، ولم
تكن آية آية من آياته محل شك في ورودها أو ريبة في نزولها ،
بل ظل محفوظاً بوسائل حفظه القاطعة لكل ريبة ، النافية لكل شبهة ،
لم تذهب منه كلة ولم يزد عليه حرف ، ولم يزل كذلك محفوظاً برعايته
منزله إلى يومنا هذا ، ولا يزال كذلك إلى يوم الدين لقوله تعالى : (إنا
نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون) وبعد أن توفي رسول الله ﷺ
حدثت معارك بين المسلمين وأهل الردة في الباهمة ، واستشهد من
حفظته سبعون صحابياً . فهال ذلك كبار الصحابة وظلوا في حيرة
وارتكبوا من كثرة من قتل من شهداء القراء ، حتى شرح الله
صدورهم جمعه .

وفي ذلك يروى البخاري في صحيحه أن زيد بن ثابت أحد كتاب
الوحي رضي الله عنه قال :

أرسل الى أبو بكر الصديق مقتل اليهادة ، وقال لي : ان عمر
أناى فقال : ان القتل قد استحر بقراء القرآن ، وانى اخشى أن
يستحر القتل بهم اكثر فيذهب كثير منهم . وانى ارى أن تجمع
القرآن ، قلت لعمر : كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال
عمر : هو والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرني لذلك ،
ورأيت في ذلك رأي عمر . قال زيد : ثم قال لي أبو بكر انك رجل
شاب عاقل لا نتهكم وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ
فتتبع القرآن فاجمعه . قلت لأنبيء بكر : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله
رسول الله ﷺ ؟ قال : والله هو خير . فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى
شرح الله صدرني للذى شرح له صدرأنبيء بكر وعمر . فتتبع القرآن
أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة
التوبة مع أبي خزيمة الانصاري الذى جعل النبي ﷺ شهادته بشهادة
رجلين لم أجدها مع غيره ^(١) (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز
عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فان تولوا
فقل حسبي الله ، لا إله إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)
سورة التوبة الآية ١٢٩ . وفي ذلك يقول سيدنا علي بن أبي طالب
رضي الله عنه : رحم الله أبا بكر هو أول من جمع كتاب الله بين
اللتين .

وهكذا جمعت الصحف لأول مرة ، وبقيت عند أبي بكر
حياته ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة حياتها .

(١) البرهان : ١ / ٢٣٤ .

القراء:

جا، في كتاب القراءات المنسوب إلى أبي عبيدة أن القراء
الأوائل الذين تيسر لهم حفظ القرآن، وعرضوه على النبي هـ الخلفاء
الاربعة، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم، وأبوهريرة
وعبد الله بن السائب، والعبادلة الاربعة المشهورون، وهم عبد الله بن
عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن
الزبير، وامهات المؤمنين، عائشة وحفصة وأم سلمة، وهو لا، جميعاً
من المهاجرين .

أما الذين هم من الانصار فهم عبادة بن الصامت ، ومعاذ الذي يكنى أبا حليمة ، ومجع بن جارية ، وفضلة بن عبيد ، ومسلمة بن مخلد . وقد اشتهر باقراء القرآن من الصحابة الكرام سبعة عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله ابن مسعود ، وابو الدرداء ، وابو موسى الاشعري .^(١)

كتاب الوحي :

كان النبي ﷺ قد اتخذ للوحى كتاباً فيهم الخلفاء الاربعة ، وعماوية ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وخالد بن الوليد ، وثابت ابن قيس ، وكان يأمرهم بكتابه كل ما ينزل من القرآن حتى تظاهر الكتابة الحفاظ على جم القرآن في الصدور .

يؤيد ذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرك بسند على شرط

(١) كتاب مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص ٧٢ عن كتاب الاتقان للسيوطى ١٤٣٤ / ١

الشيوخين عن زيد بن ثابت انه قال : كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع .

ومعنى تأليف القرآن من الرقاع ترتيب السور والآيات وفق اشارة النبي ﷺ وتقييفه كما وقف جبريل عليه السلام على ترتيبها
ولا خلاف في ذلك .^(١)

(١) كتاب مباحث علوم القرآن من ٧٤ .

الحكم والمتشبه من آياته

الحكم في لغة العرب - المتقن الذي لا يتغير معناه . وأما المحكم من آيات القرآن فهو تلك الآيات الواضحة المفهومة التي لا ريب ولا شبهة للناس في معناها . والتي لا تحتاج إلى تفسير أو تأويل . وأما المتشبه من الآيات فهو تلك الآيات التي لم يفهم معناها ب مجرد قراءتها ، وفيها الجمل الذي يحتاج إلى تفصيل ، وفيها المؤول الذي يحتاج إلى تأويل ، وفيها المشكل الذي لا يفهم معناه مطلقاً لشدة لبسه وابهامه لحكمة ، الله أعلم بها قال تعالى : (هو الذي انزل عليك الكتاب ، منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشبهات ، فأما الذين في قلوبهم زيف فيتبعون ما تشبه منه ابتغا الفتنة ، وابتغا تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون : آمنا به ، كلٌّ من عند ربنا ، وما يذكروا إلا ألو الالباب) سورة آل عمران الآية ٧ .

فشل الآيات المحكمة التي يستطيع عامة الناس الذين يحسنون القراءة في اللغة العربية فهم معناها . قوله تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) سورة الفرقان الآية ٦٤ .

و كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنينا فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة قتصبحوا على ما فعلتم نادمين) سورة الحجرات الآية ٦ .

و كقوله تعالى : (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم

بطشاً، فنقوا في البلاد، هل من محيس، ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد) سورة ق الآية ٣٧ .
وهكذا الفاظ الآيات المحكمة، لا تتحمل غير معاناتها
الخاصة بها . ومحتوها لا يتجاوز أبعد ما دات عليها الفاظها . فهي
نص صريح في الموضوع الذي نزلت من أجله .
أما المتشابه من آيات القرآن فهو تلك الآيات التي استأثر الله
بعلمه فلا يصل أحد إلى معرفة المراد منها .

(وخلاصته : ان المتشابه هو ما يوهم ظاهره معنى لا يليق بجلال الله
ولا يتفق مع دلالة المحكم في تزييه الله عن صفات الحوادث) .^(١)
ومن أمثلته قوله تعالى : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام) سورة الرحمن الآية ٣٧ . وكقوله تعالى : (يد الله فوق
أيديهم) سورة الفتح الآية ١١ . وكقوله تعالى : (ولتصنع على عيني)
سورة طه الآية ٤٠ .

ففي وجهه ويده وعيشه تجسيد المذات الربانية وفيه ما فيه من
خروج على تزييه الله وجلاله .

(١) كتاب تفسير القرآن الكريم لفضيلة الاستاذ محمود شلتوت شيخ جامع الازهر

الفصل التاسع

أعجاز القرآن

القول بأعجاز القرآن مبني على أسس عقلية ، ومنطقية لا يرقى
إليها التفنيد ، ولا يقوى على تكذيبهـ اذوه الاغراض ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا .

ثبت بالنص القرآني ان الله سبحانه وتعالى تحدى جميع فصحاء
العرب وببلغائهم ان يأتوا بمثل هذا القرآن فلم يأتوا ، (قل لئن أجمعتم
الانس والجinn على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا) سورة الاسراء الآية ٨٨ .

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله ، ولو كانت مفتريات
مخالفة للحق بمجاافية للواقع . فلم يأتوا ، (قل فأتوا بعشر سور مثله
مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين . فان
لم يستجيبوا لكم فاعلموا انـا أنزـل بـعـلـمـ اللـهـ وـاـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ هـوـ فـهـلـ
ازـتـمـ مـسـلـمـونـ) سورة هود الآية ١٤ .

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله ، فلم يأتوا ، ايضاً
قال تعالى : (وـاـنـ كـنـتـمـ فـيـ رـيـبـ مـاـ نـزـلـنـاـ عـلـىـ عـبـدـنـاـ فـأـتـوـاـ بـسـوـرـةـ مـنـ
مـثـلـهـ ، وـادـعـوـاـ شـهـدـاـكـمـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ اـنـ كـنـتـمـ صـادـقـينـ . فـاـنـ لـمـ تـفـعـلـوـاـ

ولن تفعلوا ، فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت
للكافرين) سورة البقرة الآية ٢٥ .

ومن اعجاز القرآن بيانه لنواهيه الكون بشكل دقيق ثابت ما زال العلم يتتابع هذا البيان ويكشف عن اسراره يوماً بعد يوم وفق منطوق القرآن ، ولا يختلف عنه منها طال عليه الأمد .

قال تعالى : (والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك نقدِير العزيز
العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالمرجون القديم . لا الشمس
ينبعي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك
يسبحون) سورة يسِين الآية ٤٠ .

وَكَقُولهُ تَعَالَى : (وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَزْعٌ مِّنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَكُلُّ أَنْوَهٍ دَاخِرٍ ، وَتَرَى الْجَبَلَ تَحْسِبَهَا جَامِدَةً ، وَهِيَ تَرَى مِنَ السَّجَابِ ، صَنْعُ اللَّهِ الَّذِي أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ ، إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) سُورَةُ النَّمَلِ الآيَةُ ٨٨ .

وَكَوْلَهُ تَعَالَى : أَلَمْ تَرَ إِنَّ اللَّهَ يَنْجِي سَهَابَةً ، ثُمَّ يُؤْلِفُ بَيْنَهُ ، ثُمَّ يُجْعَلُهُ رَكَاماً ، فَتَرِي الْوَدْقَ يَنْزُجُ مِنْ خَلَالِهِ ، وَيَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جَبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرٍ دِيْفَصِيبَ بِهِ مِنْ يَشَاءُ ، وَيَصْرُفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ ، يَكَادُ سَنَا يُرْقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) سُورَةُ النُّورِ الْآيةُ ٤٣ .

تناولت هذه الآيات الكريمة أعظم مظاهر الكائنات ، وخبرتنا عن بعض أنظمتها التي لا يأتيها الخلل بسبب قدرته البالغة حد الاعجاز .

فَبَيْنَ لِنَاءِ الْأَوَّلِ كَيْفَيَةُ تَعَاقِبِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَهَا

يسبحان في هذا الفضا ، العظيم ، دون أن تدرك كثراً الفوضى والاضطراب فالشمس تجري ، وتدور حول نفسها وفي فلكها إلى أبداً تنتهي إليه ، ولا تتجاوزه أبداً ، فكأنها تجري لا دراكه ، حتى إذا ادركته وانتهت إليه توقفت ، وكذلك القمر . فالله وحده هو العالم بأمرها . ذلك تقدير العزيز العليم .

ويبين لنا في الثانية : كيف تحسب الجبال جامدة ساكنة في رأي العين . وهي في الحقيقة الواقع تمر من السحاب . وهذا دليل على دوران الأرض حول الشمس . وتلك نظرية علمية اثبتتها التجارب . هذا صنع الله الذي اتقن كل شيء . واحكمه بآداته الربانية . انه خبير بما تفعلون .

ثم بين لنا في الثالثة : كيفية نزول المطر والبرد من سحب كاجبال . فالكلمات يزجي ، يولف ، ركام ، ودق ، خلال ، من جبال فيها ، سنا البرق ، يذهب بالابصار — كلها اصطلاحات علمية دقيقة لا يستطيع انسان أن يجمعها في ثلاثة اسطر بهذه الاسلوب الرائع الموافق للعلم والواقع .

وآية ذلك ان قطرات الرذاذ النازلة من السما ، لا تنزل من الغيوم الرقيقة ، بل تحتاج إلى جبال من السحاب حتى ينهي لها ان تصير بردًا حين اختراقه — طبقات الغيوم الكثيفة . وهكذا يزداد حجم الجبة كلما اخترقت طبقة . والبرق لا يذهب بالابصار ، بل الذي يذهب بها هو سناه المتوج الذي يعطّل الطبقة الشبكية .

ففرى ان الحديث عن هذه النواميس الكونية ليس هو إلا كلام شاهد عيان مطلع على هذه الاسرار . فقوله تعالى : فترى الودق

يخرج من خالله ، ولم يقل من داخله أو من باطنه ، لأن حبة الودق ليست محفوظة في داخل أو في باطن ، بل هي كامنة خلال بخار السحاب تنتظر أو انها لتخرج وتصير ما .^(١)

معنى المعجزة ووجه الاعجاز

المعجزة أصر خارق العادة ، مقررون بالتحدي ، سالم عن المعارضة
يظهرون الله على يد النبي ، تأييداً لنبوته ، وتعزيزاً للذين يحاولون
الاتيان بـه .

أما معجزة القرآن فإنها تظهر في اثره الانساني، وتغييرها مجرى المقول والقلوب والافكار في مدة وجيزة ، اذ هلت لقصرها رجال العلم والسيف والسياسة والقانون والاخلاق والاجتماع ، إذ لم يدخل في حسابهم ان مدة كهذه يستطيع فيها الانسان العربي ان يغير " بهذا القرآن وجه التاريخ ويلك قلوب أمم كثيرة العدد ويحبب إليها ان تهرع إليه وتخرج من كل ما ورثته من عادات وتقالييد وعقائد وترتقي في احضان القرآن تقرؤه صباح مساء وتومن به وتجاهد في سبيله .

قال صاحب كتاب الاتقان : إننا لا نسمع كلاماً غير القرآن منظوماً أو منتشرأ اذا قرع السمع خلص له القلب لما فيه من اللذة والحلوة ، والروعة والمهابة .

(٤) كتاب الوجه والتذليل من ٢٢ لمبد المجيد شوقي البكري ، نقلاً عن كتاب متنهل المرفأ في علوم القرآن ص ١٩٠ .

قال تعالى : (لو انزلنا هـذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً
متصدعاً من خشية الله) . ^(١)

ثم قال : قال سراقة : اختلف اهل العلم في وجه اعجاز القرآن
فذكروا في ذلك وجوهًا كثيرة كلها حكمة وصوب ، وما بلغوا في
وجوه اعجازه جزءاً واحداً من عشر معاشره .

فقال قوم : هو الاجاز مع البلاغة ، وقال آخرون : هو البيان
والفصاحة ، وقال آخرون : هو الوصف والنظم ، وقال آخرون :
هو كونه خارجاً عن جنس كلام العرب من النثر والشعر مع كون
حروفه في كلامهم ، ومعانيه في خطبائهم ، والظاهرة من جنس كلامهم
حتى ان من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه ، ومن
اقتصر على حروفه وغير معانيه ابطل فائدته ، فكان في ذلك ابلغ
دلالة على اعجازه .

وقال المرحوم مصطفى صادق الرافعى :

القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الاعجاز على اطلاقه فهو اثر من الآثار الالهية ، يشارك تلك الآثار في اعجاز الصنعة ، وهيئة الوضع ، وينفرد عنها بأن له مادة من الالفاظ كأنها مفرغة افراغاً من ذوب تلك المواد كلها ، وما نظنه إلا الصورة الروحية للانسان ، اذا كان الانسان في تركيبه هو الصورة الروحية للعالم كله .^(٢)

(١) كتاب الاتقان ج ٢ ص ١١٨ .

(٢) كتاب به تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٥٧ .

وهذه المعجزات قليل من كثیر ، وهی کاتری معجزات حسية
لأن الناس في تلك الاًزمنة البعيدة لا يفقهون ، ولا يصدقون إلا
الامور المادية ، ولا سبأ اليهود فهم قوم ماديون .

القراءات والقراء

القراءات انواع من التلاوة القرائية موافقة للغة العربية ، ومتتفقة مع المصاحف العثمانية بسند متواتر عن رسول الله ﷺ . والقراءات سبعة انواع اشتهرت بين المسلمين عامة ، وصار الناس يقرأون بها القرآن الكريم .

- ١ - أخذ اهل مكة بقراءة عبد الله بن كثير الداري الذي لقى من الصحابة انس بن مالك ، وعبد الله بن الزبير ، وابا ايوب الانصاري
- ٢ - وأخذ اهل المدينة بقراءة نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الذي تلقى القراءة عن سبعين من التابعين الذين اخذوا القراءة عن أبي ابن كعب ، وعبد الله بن عباس ، وابي هريرة .
- ٣ - وأخذ اهل الشام بقراءة عبدالله البصبي المشهور بابن عاصم الذي اخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي عن عثمان بن عفان ، ولقي من الصحابة النعمان بن بشير ووازلة بن الاسقع ، وقال بعضهم انه لقي عثمان بن عفان نفسه وأخذ عنه القراءة .
- ٤ - وأخذ اهل البصرة بقراءة ابي عمرو بن العلاء . وقد روى عن مجاهد ابن جبر وسعيد بن جبـير عن عبدالله بن عباس وعن ابي بن كعب .
- ٥ - كما أخذ اهل البصرة بقراءة يعقوب بن اسحق الحضرمي ايضاً .
- ٦ - وأخذ اهل الكوفة بقراءة حزة بن حبيب الزياد .
- ٧ - وأخذوا ايضاً بقراءة عاصم بن ابي النجود الاسدي . الذي قرأ على زر بن حبيش الذي اخذ القراءة عن عبدالله بن مسعود .

وما ينبغي ان نعلمه ايضاً انه لم تقبل قراءة احد من القراء إلا
اذا ثبت اخذه عن من هو أعلى منه بطريقة المشافهة والسماع حتى
يتصل الاستناد بالصحابي الذي اخذ عن رسول الله ﷺ .

وما هو جدير بالذكر ان قارئ القرآن لا يسمى مقرئاً إلا اذا
احكم قراءته بالسماع والمشافهة ، وثبت توافق رأيه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فقال الكافرون : هذا شيء عجيب (٢) أإذا متنا و كنا تراباً ذلك
رجوع بعيرد (٣) قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندها كتاب حفيظ
(٤) بل كذلك بواحق لما جاءهم فهم في أمر مريج (٥) أفلم ينظروا الى
السماء، فوقيهم كيف بنيناها وزينناها وما لها من فروج (٦) والارض
مدناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج (٧)
قبصرة وذكرى لكل عبد منيب (٨) ونزّلنا من السماء ما مباركا
فأنبتنا به جنات وحب الحميد (٩) والنخل باسقات لها طاعن ضيد
(١٠) رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (١١) .

اللغة

ق ، احد الاحرف التي تبدأ بها بعض السور . للعلماء فيها معانٍ كثيرة . قال بعضهم : انها اسرار مرموزة ، او انها اسماء الله او انها اشارات لابتداء ، كلام وانتهائه ، وقيل : انها اسماء لتلك السور . حفظ : حافظ لتفاصيل الاشياء ، او محفوظ في اللوح المحفوظ او محفوظ من التغير والتبديل .

فروج : فتوق وشقوق وعيوب .

دو اسی : ثوابت جمع رأس .

الزوج : الصنف .

بهيج : شديد البهجة لحسن وجهه .

منيب : يرجع كل شيء إلى ربها ويظل يفكر في بدائع مخلوقاته .

مبارك : كثير المنافع .

جනات : جمع جنة وهي البستان ذات الآثار .

الحصيد : الحب الذي يحصل كلحظة والشمير وغيرها .

باسقات : طويلات أو حوامل . من ابسقت الشاة اذا حلت .

الطلع : الغلاف الذي فيه مادة الشمر .

نضيد : متراكب بعده فوقي بعض بانتظام .

* * *

الاعراب

جلة (هذا شيء عجيب) محلها النصب لأنها مقول القول .

إذا : ظرف منصوب بفعل مضمر تقديره نرجع . لأنها حافظة لشرطها منصوبة بحوابها .

تبصرة وذكرى : علتان للفعال السابقة معنى . وان انتصبا بالفعل الاخير . او لفعل مقدر من لفظتها . أي بصرنا وذكرنا .

والاول اولى (تفسير روح المعاني) .

والنخل : عطف على جنات

باسقات : حال

جلة (لها طلع نضيد) حال من النخل بطريق الترادف .

رزقا للعباد : مفعول مطلق . وجوزوا ان يكون حالاً بمعنى

مرزاً .

المعاني

يقسم سبحانه وتعالى بقرآنـه الـكـرـيمـ الذي جـمـعـ الجـدـ والـشـرفـ وـحـازـ الـاـمـتـيـازـ عـلـىـ سـائـرـ الـكـتـبـ السـماـوـيـةـ ، لـمـاـ اـشـتـملـ عـلـيـهـ مـنـ الاـسـارـاتـ المـتـعـلـقـةـ بـالـنـوـامـيـسـ الـكـوـنـيـةـ ، وـمـاـ اـحـتـوىـ بـيـنـ دـفـتـيـهـ مـنـ الـعـلـومـ وـالـادـابـ وـالـحـكـمـ . فـيـ كـلـ مـاـ يـحـتـاجـ إـلـيـهـ الـخـلـقـ مـنـذـ بـدـاـيـتـهـ حـتـىـ نـهـاـيـتـهـ . فـنـ اـحـاطـ عـلـمـ أـبـعـانـيـهـ وـعـلـمـ بـاـ فـيـهـ تـبـعـدـ اللـهـ وـعـنـ النـاسـ .

(بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) لقد عجب هؤلاء الكفار لمجيء رسول من جنسهم ينذرهم بالبعث، ويدعوهـم الى عبادة واحد أحد، وترك ما يعبدون من دون الله، فيقول الله سبحانه وتعالى : كيف تعجبون من دعوة رجل منكم قد عرفـتـ وـسـاطـتـهـ ، وـعـدـالـتـهـ ، وـأـمـانـتـهـ فـيـكـمـ قـبـلـ الـبـعـثـ ؟

وـاـذـاـ كـنـتـمـ قـدـ عـرـفـتـمـوـ بـهـذـهـ الـاخـلـاقـ الـعـالـيـةـ وـالـصـفـاتـ الـنـبـيـلـةـ وـعـرـفـتـمـ عـجـبـتـهـ لـكـمـ ، وـتـرـفـقـهـ بـكـمـ ، وـخـوـفـهـ عـلـيـكـمـ ، مـنـ أـنـ يـنـالـكـمـ سـوـ ، وـيـعـلـ بـكـمـ مـكـرـوـهـ ، فـكـيـفـ تـسـتـكـرـوـنـ ذـلـكـ وـتـعـجـبـوـنـ مـنـ كـوـنـهـ رـسـوـلـ ، وـمـاـ اـنـذـرـكـمـ بـهـ مـنـ الـبـعـثـ مـعـ عـلـمـكـمـ بـقـدـرـةـ اللـهـ تـعـالـىـ عـلـىـ خـلـقـ السـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـمـاـ بـيـنـهـاـ ، وـعـلـىـ اـخـتـرـاعـ كـلـ شـيـ وـابـدـاعـهـ ، وـمـعـ اـقـرـارـكـمـ بـالـنـشـأـةـ الـأـوـلـىـ وـمـعـ دـلـالـةـ الـعـقـلـ وـشـهـادـتـهـ بـاـمـكـانـ الـبـعـثـ الـذـيـ لـابـدـ مـنـهـ ، (ليجزـيـ الـذـينـ آـمـنـوـاـ وـعـمـلـوـاـ الصـالـحـاتـ بـالـحـسـنـيـ وـيـجـزـيـ الـذـينـ أـسـاءـ وـاـبـالـسـوـأـيـ) .

ثم عول سبحانه وتعالى على أحد الانكارين بقوله : (فقال

الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا و كنا تراباً ذلك رجع بعيد) .
دلالة على أن تعجبهم منبعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالانكار
ووضع سبحانه وتعالى كلمة (الكافرون) موضع الضمير للشهادة على
أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر بعناد و اصرار بدون روية
وبدون تمحیص .

ترى أن أساس انكارهم للبعث وتعجبهم منه انهم يظنون أن
اعادة الجسم بعد التفرق والاخلال والصيرورة الى تراب أمر بعيد
 جداً ، بل هو محال . إنهم يقولون : من الذي يستطيع أن يجمع
الجزئيات بعد تفرقها في التراب أو ذهابها في بطون السباع
والوحش والسمك ؟ ومن الذي يحصي كل هذا حتى لا يفلت منه
جزئي . ان ذلك لرجع بعيد .

فيرد سبحانه وتعالى عليهم بأبلغ رد وآكده . فيرد بيان علمه
الشامل ، وقدرته الكاملة . وضرب الشواهد المادية والامثال على
ذلك بقوله (قد علمنا ما تنقص الارض منهم ، وعندنا كتاب حفيظ)
أي يجمعها الذي خلقكم ورزقكم ، وخلق ما أظل لكم وحملكم والذي
يعلم علمًا أكيدًا ما تأكل الأرض من لحومكم وعظامكم ، وما
يتفرق منها في كل ناحية ، وهو العليم بكل شيء .حيط بكل مافي
السماءات والارض . وعنه كتاب حافظ لكل شيء .

(بل كذبوا بالحق لما جاءهم ، فهم في أمر مريض) .

في كلمة (بل) اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على أنهم
جاوا بما هو أفعظم من تعجبهم في مجني ، منذر من أنفسهم ، وهو
التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول و هلة

من غير تفكير ولا تدبر ، لذلك اضطربوا في أقوالهم ، تارة يقولون
شاعر ، وتارة ساحر ، وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد .
(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزينتها ، وما لها
من فروج) .

أي أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى آثار قدرة الله في خلق
العالم المشاهد بالعين المجردة ، الراخر بالكتواب والنجوم الدائرة
في أفلاكها تحت هذه السماء المرفوعة بغير عمد . المبنية بناءً محكمًا
لا فتوق ولا شقوق ولا خلل فيه . أليس في استطاعة الخالق المبدع
لهذه الكائنات أن يعيشكم من مرقدكم ويجتمعكم يوم القيمة ؟
(والارض مدنها ، والقينا فيها رواسي ، وابتنا فيها من
كل زوج بهيج . تبصرة وذكري لكل عبد منيб) .

أي وأذ لم تؤمنوا أيها الشر كون بقدرته تعالى على خلقه
ملائكة السماوات أفلم تروا الأرض التي تعيشون فوقها كيف بسطناها
في نظركم والقينا فيها جبالاً ثوابت تنعمها من المياد والميادان عن
فلكلها الذي تدور فيه ولا تنحرف عنه قيد شعرة . وأذا لم يقنعكم
ذلك ألم يقنعكم هذا النبات الحسن الجميل الذي يهيج ويسر كل من
نظر إليه . وجعلناه صنوفاً كثيرة مختلفة الألوان والأشكال . لتنقلوا
من بدائع صنعه إلى صانعها ؟ أي فعلنا ما فعلنا تصويراً وتذكيراً الأولى
الإبصار الذين يرجعون كل شيء إلى الله .

(ونز لنا من السماء ما ، أمبار كا فابتنا به جناتٍ وحب الحصيد
والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد ، وأحياناً به بلدة ميتاً ،
كذلك الخروج) .

أي ان مثلكم أيها الناس في إحياءكم بعد موتكم كمثل
احيائنا للبلد الميت الذي لا ماء فيه ولا نبات ننزل عليه ما، أ، كثير
المنافع فتنبت فيه الجنان اليانعة بأغارها ، المليئة بأصنافها من أنواع
الفواكه والحبوب كالحنطة والشعير وغيرها . كذلك خروجكم
من الأرض .

اللغة

الرس البئر و اخوان لوط اصحابه ، الايكة واحدة الشجر
جعها ايك ، تبع ملك اليمن ، فرق و عيد و جب العذاب افعيننا افجزنا .
اللبس الخلط ، الوريد عرقان مكتنفان ، صفحتي العنق . التلقيان الملكان .
عتيد حاضر ، السكررة الشدة . الصور البوق . تحيد تنفرد و تهرب .
قرينة شيطانه الذي اغواه و دفعه الى جهنم .

الاعراب

جملة كذبت قبلهم قوم نوح - جملة استئنافية لتقدير حقيقة
البعث التي اتفق عليها جميع الرسل .
و كذلك جملة - افعيننا بالخلق الاول جملة استئناف مقرر لصحة
البعث أيضا .

بل هم في لبس - عطف على مقدر يدل عليه ما قبله ، كان قيل :
انهم معترفون بالاول غير منكرين قدرتنا عليه ، فلا وجه لانكارهم
الثاني . ما تووس - ما موصولة ، وضمير به يعود لها . واليا ، صلة
تووس . إذ - ظرف لاقرب . وافعل التفضيل يعمل في الظروف .
 محل (معها سائق وشهيد) النصب على الحال من كل لتعرفه
بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة .

(لقد كنت في غفلة من هذا) محكى باضمار قول . والجملة
استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله . كأنه قيل : فاذَا يكون بعد
النفح ، ومجي . كل نفس معها سائق وشهيد ؟ فقيل : يقال للكافر
الغافل [لقد كنت في غفلة من هذا] .

المعاني

في هذه الآيات الكريمة تسلية للرسول عليه أفضـل الصلاة والسلام، وفيها تهـديـلـلـمـشـرـكـينـ . فيـقـوـلـ لـهـ : أـيـهـاـ الرـسـوـلـ لـاـيـحـزـنـكـ الـذـيـنـ يـجـحـدـونـ رـسـالـتـكـ ، وـيـنـكـرـونـ الـبـعـثـ ، فـقـدـ كـذـبـتـ مـنـ قـبـلـكـ الرـسـلـ . كـذـبـ قـوـمـ نـوـحـ ، وـاصـحـابـ الرـسـلـ ، وـثـوـدـ ، وـعـادـ ، وـفـرـعـوـنـ وـاخـوـانـ لـوـطـ ، وـاصـحـابـ الـايـكـةـ ، وـقـوـمـ تـبـعـ .

وـالـهـمـ أـنـ تـتـلـوـ عـلـيـهـمـ قـوـلـهـ تـمـالـيـ : (أـفـعـيـنـاـ بـالـخـلـقـ الـأـوـلـ) أـيـ أـنـنـاـ لـمـ نـعـجـزـ كـمـ اـعـلـمـاـ عـنـ الـخـلـقـ الـأـوـلـ فـكـيـفـ نـعـجـزـ عـنـ الـخـلـقـ الـعـاـنـيـ . وـاـذـ اـعـلـمـاـ ذـلـكـ بـالـضـرـورـةـ وـلـمـ يـنـكـرـواـ قـدـرـتـنـاـ عـلـىـ الـخـلـقـ الـأـوـلـ ، فـالـقـيـاسـ الصـحـيـحـ أـنـ يـعـرـفـوـاـ بـأـنـ مـنـ قـدـرـ عـلـىـ الـإـنـشـاـ . كـانـ عـلـىـ الـإـعـادـةـ أـقـدـرـ . (بـلـ هـمـ فـيـ لـبـسـ مـنـ خـلـقـ جـدـيدـ) . عـطـفـ عـلـىـ مـقـدـرـ يـدـلـ عـلـيـهـ مـاـ قـبـلـهـ ، كـأـنـهـ قـيـلـ : اـنـهـ مـعـتـرـفـوـنـ بـالـأـوـلـ غـيـرـ مـنـكـرـيـنـ قـدـرـتـنـاـ عـلـيـهـ ، فـلـاـ وـجـهـ لـاـنـكـارـهـمـ الـثـانـيـ ، بـلـ هـمـ فـيـ خـلـطـ وـشـبـهـةـ ، قـدـ لـبـسـهـاـ عـلـيـهـمـ الشـيـطـانـ ، وـاـنـكـرـ الـخـلـقـ الـثـانـيـ وـوـصـفـ يـجـدـيدـ تـنـبـيـهـاـ عـلـىـ مـكـانـ شـبـهـتـهـمـ وـاسـتـبـعـادـهـ عـنـهـمـ . وـجـوـزـ بـعـضـهـمـ أـنـ يـكـوـنـ التـنـكـيرـ لـلـابـهـاـمـ إـلـىـ أـنـ خـلـقـ جـدـيدـ عـلـىـ وـجـهـ لـاـ يـعـرـفـهـ النـاسـ .

(الـقـيـاـ فيـ جـهـنـمـ كـلـ كـفـارـ عـنـيـدـ (٢٥ـ) مـنـاعـ لـلـخـيـرـ مـعـتـدـلـ صـرـيبـ (٢٦ـ) الـذـيـ جـعـلـ مـعـ اللهـ إـلـهـ آـخـرـ فـالـقـيـاهـ فـيـ الـعـذـابـ الشـدـيدـ (٢٧ـ) قـالـ قـرـيـنهـ : رـبـنـاـ مـاـ اـطـفـيـتـهـ وـلـكـنـ كـانـ فـيـ ظـلـالـ بـعـيدـ (٢٨ـ) قـالـ : لـاـ تـخـتـصـمـوـ الـدـيـ وـقـدـ قـدـمـتـ إـلـيـكـمـ بـالـوـعـيـدـ (٢٩ـ) مـاـ يـبـدـلـ القـوـلـ لـدـيـ ، وـمـاـ أـنـاـ بـظـلـامـ لـلـعـبـيـدـ (٣٠ـ) يـوـمـ نـقـولـ لـجـهـنـمـ : هـلـ اـمـتـلـأـتـ

وتقول : هل من مزيد (٣١) وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد (٣٢)
 هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ (٣٣) من خشي الرحمن بالغيب
 وجاء بقلب منيب (٣٤) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (٣٥) لهم
 ما يشاءون فيها ولدينا مزيد (٣٦) وكم أهللنا قبلهم من قرن هم
 أشد بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيسن (٣٧) ان في ذلك لذكرى
 لمن كان له قلب والقى السمع وهو شهيد (٣٨))

اللغة

عنيد - معاند للحق كاره لأهله . منازع للخير - يمنع الزكاة
 والصدقات ، معتد - ظالم . صریب - شاك في دين الله . قرينه
 شيطانه الذي يخدعه وينفويه . اطغيته - اضلالته . بالوعيد - بالعذاب .
 وازلفت الجنة - قربت . أواب - رجاع الى الله . حفيظ - يحفظ
 ذنبه ويتب عنها . منيب - مقبل على طاعة الله . الخلود - البقاء .
 الذي لا انتهاء له . بطشاً - سطوة وأذى . نقبوا - طافوا . محيسن
 - مهرب . القى السمع - أصغى الى الموعظ . شهيد - حاضر .

الاعراب

الالف في القيا عائد للملائكة السائق والشهيد ، ويجوز أن
 تكون بدلاً من النون اجراءً للوصول بجزي الوقف .
 الذي مبتدأ متضمن معنى الشرط . خبره فالقيا في العذاب
 الشديد . بدلالة الفاء في قوله فألقىاه . ويجوز أن يكون منصوباً على
 البذرية من (كل كفار) .

قال قرينه — جملة استثنافية ، وكذلك قوله : قال لا تختصوا
كأنه قالاً قال : فإذا قال الله ؟ فقيل له — قال لا تختصوا .
والباء في قوله : بالوعيد ، مزيدة مثل (ولا تلقو بأيديكم
إلى التهمة) .

فإن قلت : كيف قال بظلام على صيغة المبالغة ؟ قلت قد يراد
(لو عذبت من لا يستحق التعذيب لكونه ظلاماً مفرط الظلم) .
فنفي ذلك باسلوب المبالغة .

غير بعيد نصب على الظرفية . أي مكاناً غير بعيد ، أو على
الحال . وأما تذكيره فلا أنه على زنة المصدر كالزئير والصليل ، والمصادر
يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث .

من خشي الرحمن ، يجوز أن يكون (من) مبتدأ خبره يقال
لهم : أدخلوها بسلام آمين . لأن من في معنى الجمع ويجوز أن يكون
منادي كقولهم (من لا يزال محسناً أحسن إلى) .

المعاني

يقول جل جلاله للملائكة القيا في النار كل معاند للحق ، كثير
المنع للخير . ظالم ، شاك ، مرتاب في دين الله . جعل مع الله إله آخر .
وقول الشيطان : ربنا ما أطفيته مبني على سابقة كلام اعتذر
به الكافر . كأنه قال : إن شيطاني هو الذي أطغاني . فأجاب الشيطان
بتذكيره ، وبأنه كان في ضلال بعيد من الحق فأعنته عليه من غير
قسر ولا اكره .

لذلك قال عز وجل : لا تختصوا في موقف الحساب والجزاء .

إذ لا فائدة في ذلك وقد انذرتم من قبل بالوعيد في كتبى وعلى السنة رسلي ، فلا تطمعوا الآن في الخلاص من العذاب إلا أنتم فيه من التعلم بالمعاذير الباطلة . وما أنا في تعذيبكم بظلم لكم . وفي هذا القول اشارة الى أن تعذيب من يعذب من العبيد إنما هو عن حق واستحقاق .

واذ كروا يوم نقول لجهنم : هل امتلأت ؟ وتقول : هل من مزيد ؟ أي هل امتلأت جوانبك الفسيحة بن دخلك من المذنبين . فتقول جهنم جواباً عن هذا السؤال . هل من زيادة ؟ أي لا أسع أكثر من ذلك فاني قد امتلأت . ويقول الزمخشري رحمه الله : ان سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى وتثبيته في القلب ، وفيه معنيان .

أحدها : انها تمتلئ ، مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لايسعها شيء ، ولا يزداد على امتلانها شيء . لقوله تعالى : لاملان جهنم . والثاني : انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ، ويجوز أن يكون (هل من مزيد) استكثاراً للداخلين فيما لفروط كثرتهم ، أو طلباً للزيادة غيظاً على العصاة ، وأزلفت الجنة للمحقين غير بعيد ، أي قربت الجنة للذين يخشون ربهم بالغيب ، ويأتونه بقلوب خاشعة ، فيقال لهم : هذا ما توعدون به . أدخلوها بسلام آمنين من العذاب ، خالدين فيها ، لكم ما تشاءون وزيادة مما هو لم يخطر ببالكم ولم تبلغه أمانةكم من الحور العين والولدان الملدين .

ثم يطلب سبحانه وتعالى من المجرمين أن يتذكروا ، كم أهلك

الله قبلهم من أمم كانت أشد منهم بطشاً وأكثر أذى نسبوا في البلاد
وجالوا فيها طلباً للخلاص من العذاب فلم يفلحوا ، ولم يجدوا مهرباً
من الله . ان في ذلك لوعظة لمن كان له قلب يعرف الحق ويسمع
الصيحة ويهيء ذهنه لفهمها والعمل بمقتضاه .

(ولقد خلقنا السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا
من لغوب (٣٩) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل الفروب (٤٠) ومن الليل فسبحه وأدبار السجود (٤١)
 واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب (٤٢) يوم يسمعون
الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج (٤٣) انا نحن نحيي ونبث الينا
الصبر (٤٤) يوم تشقق الارض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير
(٤٥) نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من
يختلف وعید (٤٦))

اللغة

لغوب - تعب واعياً . وسبح بحمد ربك - أي نزهه عن
النقص واحده على نعمه . وأدبار السجود - أي واعقب الصلاة .
المنادي - هو اسرافيل أو جبرائيل . من مكان قريب - أي يصل
نداوه إلى الكل .

ويقول الزمخشري رحمه الله انه المكان القريب من صخرة بيت
المقدس ، وهي أقرب بقاع الأرض من السماء . سراعاً - مسرعين . حشر
- جمع . يسير . سهل . جبار - له سطوة وسيطرة . الوعيد - التهديد .

الاعراب

جملة (وما مسنا من لغوب) تحتمل أن تكون حالية ، وأن تكون استثنافية .

ومن الليل فسبحه - مفعول لفعل مبوزف يفسره فسبحه . أي وسبحه بعض الليل ، وقدم المعمول للإهتمام به .

يوم ينادي المنادي - يوم منتصب على انه مفعول به لاستمع أي انتظر يوم ينادي المنادي . ويوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادي .

بالحق الجار والمحروم في موضع الحال من الصيحة ، أي يسمعونها ملتيسة بالحق ، وجوزوا أن يكون الجار متعلقاً يسمعون ، على أن المعنى يسمعون بيقين .

سراعاً : مصدر وقع حالاً من الضمير في عنهم ، وان عليهم متعلق بمحذوف وقع حالاً ايضاً . أي ما أنت جبار تجبرهم على الإيمان .

المعاني

يقول سبحانه وتعالى : ليعلم هؤلاء الكافرون ان قدرته فوق كل قدرة . فالذى قدر على خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام - أي أدوار - دون أن يلحظه لغوب وتعب أليس ب قادر على إعادة خلقهم مجدداً ، وانزال العقوبات عليهم ؟ بلى . انه قادر على ذلك . وهذا تفنيد لقول اليهود بأن الله خلق السماوات والارض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت بعد أن أدر كه التعب والاعيا .

ثم خاطب سبحانه وتعالى نبيه الكريم بقوله : فاصبر على
ما يقوله المشركون . وسبح بحمد ربك في اعقاب كل صلاة من
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن الليل كصلاة المغرب والعشا .
سوا . اكانت تلكم الصلوات من المكتوبات أو من النوافل
روى عن النبي ﷺ انه قال (من صلى بعد المغرب قبل أن
يتكلم كتبت صلاته في عليين) ^(١)

وفي قوله تعالى : (نحن أعلم بما يقولون) تهديد للمشركون
وتسلية لرسول الله ﷺ واعمار له بأنه لا يطلب منه السيطرة على
الناس وقسرهم على الاعيان وإنما يقول له أنت داع وباعث . وقيل
أريد منه التحمل عليهم وترك الغلطة عليهم كقوله تعالى : (إنما أنت
منذر من يخشاها) . أما المصر على الكفر فلا ينفع معه شيء . عن
رسول الله ﷺ من قرآن سورة (ق) هون الله تارات الموت
وسكراته . ^(٢)

(١) السكاف الجزء الثاني صفحة ٤٠٦ . سورة ق .

(٢) السكاف الجزء الثاني صفحة ٤٠٦ . سورة ق .

الفصل الحادى عشر

سورة النجم - مكية على الاطلاق

ذِي الْعِزَّةِ

والنجم اذا هوى (٢) ما ضل صاحبكم وما غوى (٣) وما ينطق عن الموى (٤) إن هو إلا وحي يوحى (٥) علة شديدة القوى (٦) ذو سرة فاستوى (٧) وهو بالافق الاعلى (٨) ثم دنى فتدلى (٩) فكان قاب قوسين أو أدنى (١٠) فأوحى الى عبده ما أوحى (١١) ما كذب الفؤاد ما رأى (١٢) أفتارونه على ما يرى (١٣) ولقد رأى نزلة أخرى (١٤) عند سدرة المنتهى (١٥) عندها جنة المأوى (١٦) إذ يغشى السدرة ما يغشى (١٧) ما زاغ البصر وما طفى (١٨) لقد رأى من آيات ربها الكبرى (١٩) أفرأيتم اللات والعزى (٢٠) ومناة الثالثة الأخرى (٢١) ألكم الذكر وله الانشى (٢٢) تلك إذا قسمة ضيزي (٢٣) إن هي إلا أسماء سميتوها انتم وآباءكم ما انزل الله بها من سلطان ، أن يتبعون إلا الظن ، وما تهوى الانفس ، ولقد جاءهم من ربهم المدى (٢٤) ألم للانسان ما تمنى (٢٥) فله الآخرة والاولى (٢٦)

اللغاية

النجم - اسم غالب للثريا . أو جنس النجوم . أو المقدار النازل من القرآن الكريم . وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه ^(١) : هو النبي ﷺ . هوى - اذا شرّق او غرب ، او انتشر يوم القيمة . ما ضل - ما اعدل عن طريق الحق . صاحبكم - المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما غوى - ما جهـل وما فسد اعتقاده . شـدید القوى - جبريل قدرات شديدة . ذو صرة - صاحب حصافة في العقل واستحكام في المنطق . فاستوى - استقام على صـورته الحقيقة . بالافق الاعلى - الجهة العليا من السماء . دنا - قرب . فتدلى - تعلق في الهواء . قاب قوسين - مسافة قوسين . او أدنى - اقرب . افتارونه - اتـكذبونـه . نزلة - صـرة اخـرى من التـزوـل . السـدرـة - شـجـرةـ المـعـرـفـةـ يـنـتـهـيـ اليـهاـ كـلـ عـلـمـ ،ـ يـغـشـيـ .ـ ماـ زـاغـ .ـ مـاـ مـالـ .ـ وـمـاـ طـغـيـ .ـ مـاـ تـجـاـزـ الـحـدـ .ـ الـلـاتـ وـالـعـزـىـ وـمـنـاهـ .ـ اـسـمـاـ اـصـنـامـ .ـ قـسـمـةـ ضـيـزـىـ .ـ قـسـمـةـ ظـالـمـةـ .ـ السـلـطـانـ .ـ الـبـرـهـانـ .ـ الـطـنـ .ـ التـوـهـ .

اما الـلاتـ فـانـهـاـ صـنـمـ لـثـقـيفـ بـالـطـائـفـ ،ـ وـالـعـزـىـ كـانـتـ صـنـهاـ لـفـطـافـ ،ـ وـهـيـ عـلـىـ الـمـشـهـورـ شـجـرـةـ بـيـطـنـ نـخـلـةـ .ـ وـأـمـاـ مـنـاهـ فـقـدـ كـانـتـ صـنـهاـ لـهـذـيـلـ وـخـزـاعـةـ .ـ وـقـالـوـاـ انـ الـلـاتـ كـانـتـ عـلـىـ صـورـةـ آـدـمـيـ .ـ وـالـعـزـىـ عـلـىـ صـورـةـ نـبـاتـ ،ـ وـمـنـاهـ عـلـىـ صـورـةـ صـخـرـةـ .

(١) تفسير روح للمانبي . مبحث (والنجم اذا هوى) صفحة ٤٥ .

الاعراب

والنجم — متعلق بفعل مذوف ، تقديره اقسم . (اذا) —
ظرف مطلق الوقت . (ان) نافية . (هو) مبتدأ (الا) اداة حصر
وتفریغ ، (وحی) خبر ، وجمله (يوحی) صفة مؤكدة لوحی .
فكان قاب قوسين او أدنى — أي فكان مقدار مسافة قربه
مثل قوسين ، خذلت هذه المضادات

ولقد رأه (نزلة) اخری ، فأقيمت الكلمة (نزلة) مقام المرة
ونصبت نصبها على الظرفية ، لأن اصل المرة مصدر مرئي ، ولشدة
اتصال الفعل بالזמן يعبر به عنه ، ولم يقل (مرة) بدلها ليفيد ان
الرؤى في هذه المرة كانت بنزل ودون ، كارؤوية في المرة الاولى
(المنتهي) اسم مكان . وجوزوا ان يكون مصدراً ميمياً .
 واضافة سددة الى المنتهي من اضافة الشيء الى محله ، وقيل من اضافة
المحل الى الحال كما في قوله كتاب الفقه

(المأوى) اسم مكان ايضاً : واضافة الجنة اليه بيانية ، وقد
قيل من اضافة الموصوف الى الصفة كما في قوله جامعة المستنصرية
(لقد رأى من آيات رب الكبرى) أي والله لقد رأى الآيات
الكبرى من آياته تعالى : فالكبرى صفة موصوف مذوف لفعل
رأى اقيمت مقامه بعد حذفه ، وقد جاءت مجموعاً ليطابق الواقع

المعاني

اقسم سبحانه وتعالى — بالنجم — حين شروقه وغروبها وحين انقضاضه واندثاره يوم القيمة . او انه اقسم بالمقدار النازل من القرآن على النبي ﷺ قال تعالى : (والنجم اذا هوى) وعلى رأي الامام جعفر الصادق رضي الله عنه ان الله تعالى اقسم بالنبي عليه الصلاة والسلام ليلة عروجه الى السما ، وزوجه منها (ماضل صاحبكم وماغوی) أي ما اعدل النبي عليه الصلاة والسلام عن طريق الحق في اقواله وافعاله ، وما اعتقاد باطلًا .

وكاف الخطاب لقريش ، وابراوه عليه الصلاة والسلام بعنوان المصاحبة لهم للايدان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة وسبجاياته الكريمة .

(وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحي يوحى) أي وما ينطق النبي بأية من آيات ربه عن هوى في نفسه اصلاً ، وإنما هو وحي من عند الله يوحى اليه .

(علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى) اي علمه جبريل عليه السلام ذو الحصافة والحكمة والقوة الذي جاءه الى غار حراء في مبادىء النبوة ، مستقىها على صورته الحقيقة ، دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي ، وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول الله ﷺ احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق الشمس . فعلا الافق ، وقيل ما داه احد من الانبياء في صورته الحقيقة غير محمد ﷺ مرتين ، مرة في الارض ، ومرة في السما .

(وهو بالافق الاعلى ، ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او
ادنى) اي وهو في الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر اليها ، وهكذا
قرب جبريل عليه السلام من النبي ﷺ فتدلى في الهواء حتى كانت
المسافة بينهما يقـدار طول ذراعين او اقل من ذراعين (فأوحى الى
عبدـه ما اوحى) اي فأوحى جـبريل عليه السلام الى النبي ﷺ
ما اوحـاه الله اليـه ، وابـهامـ الموحـى به لـلتـفـخـيم . فـهـذـا نـظـيرـ قولـه تـعـالـى
« فـغـشـيـهـمـ مـنـ الـيـمـ ماـ غـشـيـهـمـ »

«ما كذب الفؤاد ما رأى» اي ما كذب فؤاد محمد عليه السلام
ببصره من صورة جبريل عليه السلام

«افتارونه على ما يرى ، ولقد رأه نزلة اخرى ، عند سدرة
المنتهى ، عندها جنة المأوى » أي أتکذبونه فتجادلونه على ما يراه
معاينته ، ثم انه صلوات الله عليه رأى جبريل عليه السلام مرة اخرى من نزوله
إليه عند شجرة قربية من الجنة يأوي اليها المتقون ، تلك الشجرة
التي ينتهي اليها اعلم كل عالم ، وما وراءها لا يعلمه إلا الله تعالى .
والشاهد من النبات قد يكون ترابياً ومائياً وهوائياً ، ولا يبعد
من الله تعالى ان يخلق النبات في أي مكان شاء ، وقد اخبر سبحانه
وتعالى عن شجرة الزقوم انها تنبت في اصل الجحيم .

وقيل ان اطلاق السدرة عليها مجاز لانهـا تجتمع عندها الملائكة عليهم السلام كما يجتمع الناس في ظل اية شجرة .

«إِذْ يَغْشِي السَّدْرَةَ مَا يَغْشِي، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى» أَي
انَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى السَّدْرَةَ، وَرَأَى مَا غَشَّيْهَا مِنْ أَنوارِ الْحَضْرَةِ
الرَّبَّانِيَّةِ، حَتَّىٰ اسْتَنَارَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةُ، فَأَعْدَلَ بَصَرَهُ عَنْ عَجَابِ

مخالقات الله التي مكنت من رؤيتها كلام يتجاوز بصره ما مكنت من
رؤيتها . وفي ابهام التعبير بـ (ما يغشى) من التفخيم ما لا يخفى ،
فكأنَّ الغاشي أمر لا يحيط به نطاق البيان ، ولا تسعه قوة الاذهان .
أخرج عبد بن حميد عن سلمة قال : استأذنت الملائكة الرب تبارك
وتعالى أن ينظروا إلى النبي ﷺ . فأذن لهم فغشيت الملائكة السدرة
لـ يـ نـ ظـ رـ وـ الـ يـ هـ عـ لـ يـ هـ الصـ لـ اـ لـ وـ الـ سـ لـ اـ مـ .

(لقد رأى من آيات ربـهـ الكـبـرـيـ) أي والله لقد رأى من آياته
تعـالـىـ ، وـ شـاهـدـ منـ عـجـابـهـ الـمـلـكـوـتـيـةـ لـيـلـةـ المـعـراجـ ماـ لـيـوـصـفـ
وـلـاـ يـحـصـيـ .

روى عن الـإـلـامـ جـعـفـ الرـصـادـقـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ أـنـهـ قـالـ : لـاـ قـرـبـ
الـحـبـيـبـ غـاـيـةـ الـهـيـبـةـ . فـلاـ طـفـهـ الـحـقـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ
بـغـاـيـةـ الـلـطـفـ ، فـأـوـحـىـ إـلـىـ عـبـدـهـ مـاـ أـوـحـىـ حـتـىـ كـانـ مـاـ كـانـ وـجـرـىـ
مـاـ جـرـىـ ، قـالـ الـحـبـيـبـ لـلـحـبـيـبـ مـاـ يـقـولـهـ الـحـبـيـبـ لـحـبـيـبـهـ ، وـأـلـطـفـ بـهـ
إـلـاطـافـ الـحـبـيـبـ بـحـبـيـبـهـ ، وـأـسـرـ إـلـيـهـ مـاـ يـسـرـ الـحـبـيـبـ إـلـىـ حـبـيـبـهـ فـأـخـفـيـاـ
وـلـمـ يـطـلـعـاـ أـحـدـاـ عـلـىـ سـرـهـاـ ..

وـإـلـىـ نـحـوـ هـذـاـ يـشـيرـ اـبـنـ الـفـارـضـ بـقـوـلـهـ :

(ولـقـدـ خـلـوتـ مـعـ الـحـبـيـبـ وـبـيـنـاـ سـرـ أـرـقـ مـنـ النـسـيمـ إـذـ سـرـىـ)
(أـفـرـأـيـتـ الـلـاتـ وـالـعـمـزـىـ وـمـنـاـ إـلـاـ ثـالـثـةـ الـأـخـرـىـ) .

أـيـ أـخـبـرـوـنـاـ عـنـ هـذـهـ الـأـصـنـامـ الـتـيـ تـعـبـدـونـهاـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ عـزـ
وـجـلـ ، هـلـ لـهـاـ مـنـ الـقـدـرـةـ وـالـعـظـمـةـ الـتـيـ وـصـفـ بـهـاـ دـبـ الـعـزـةـ ؟ـ هـلـ
أـوـحـتـ لـكـمـ بـشـيـ .ـ كـاـوـحـىـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ إـلـىـ مـحـمـدـ ﷺـ .ـ أـمـ هـيـ
جـمـاـدـاتـ لـاـ تـعـقـلـ وـلـاـ تـنـفـعـ .

(ألكم الذكر وله الانشى ، تلك اذاً قسمة ضـيـزى . إن
هي إلا أسماء . سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ، أن
يتبعون إلا الظن ، وما تهوى الانفس) أي كيف يجتمعون الله
ما تكرهون من الاناث ، وتجتمعون لانفسكم ما تحبون من الذكور؟
وذلك قوله : الملائكة بنات الله .

وفي هذا الاستفهام توبخ لهم ، وتهكم بهم . ففي عبادتهم لهن
تناقض . فهم من جهة يكرهون الاناث ومن جهة أخرى يجعلونهن
ازداداً لله وشركا له . فقسمتهم هذه قسمة جائزة غير عادلة .

ثم ان هذه الاصنام التي تدعونها آلهة ليس فيها شيء من معنى
الالوهية ، لأنها لا تسمع ولا تبصر ، ولا تغنى ولا تنفع فما هي إلا
أسماء ، لا مسميات لها . تلك أسماء . سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله
بها من سلطان ولا حجة ولا برهان وما حجتهم في اتخاذهم الاصنام
آلهة إلا العمل بالظن . والظن لا يغنى من الحق شيئاً .

(ولقد جاءهم من ربهم المهدى ، ألم الانسان ما تبني ، فلله
آخرة والأولى) .

أي جاءهم ان اعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئاً ، وان
هذه الاصنام لا تغنى ولا تنفع . وجاءهم كل هذا في القرآن الحكيم
الذي يدعوهم الى التوحيد بالدليل والبرهان القوي الذي لا يقبل
الشك . بل ليس للانسان ما تبني من الطمع في شفاعة هؤلا ، الآلهة .
وهو تمن على الله في غاية وبعد فلله الآخرة والأولى ، فهو مالكها ،
يعطي منها من يشا ، وينزع منها من يشا ، وليس لاحد أن يتحكم عليه
في شيء منها .

(وَمِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تَغْنِي شَفَاعَتَهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ
 أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضِي (٢٧) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ
 لَيُسْمُوُنَ الْمَلَائِكَةُ تَسْمِيَةُ الْأَنْشَى (٢٨) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ أَنْ يَتَبَعُونَ
 إِلَّا الظَّنُّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً (٢٩) فَأَعْرَضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّ
 عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا (٣٠) ذَلِكَ مِنْهُمْ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ رَبُّكَ
 هُوَ أَعْلَمُ بِنَّ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِنَ اهْتَدَى (٣١) وَلَهُ مَا فِي
 السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْأَلُوا وَابْنًا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ
 أَحْسَنُوا بِالْحَسْنَى (٣٢) الَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كَبَائِرُ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا
 أَلَمْ أَنْ رَبُّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا نَشَأْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذَا
 أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أَمْهَاتِكُمْ فَلَا تَرْزُكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِنَ
 اتَّقِي (٣٣)) .

اللغة

(كم) - كثير . (المالك) - مخلوق دوحادي . (تعني) - تنفع .
 (الشفاعة) - الوساطة . (الظن) - التوهم . (فاععرض) - فاتر كه
 ولا تقابلها . (تولى) - صد عنده . (الدنيا) - الفانية . (مبلغهم) -
 مقدار ما عندهم من العلم . (اللام) - صغار الذنوب كالنظرية والقبلة
 واللمس . (المغفرة) - التوبة . (انشأكم) - خلقكم . (أجندة) -
 جمع جندين . وهو الولد ما دام في بطن أمه . لا ترزاكموا أنفسكم ،
 لا تندحواها .

الاعراب

كم - مبتدأ ، مبنية على السكون في محل رفع ، وخبره جملة لاتغنى
شفاعتهم . وهي خبرة مفيدة للتکثیر .

ليسمون - الام للتأكيد واقعه في خبر ان العاملة في الاسم الموصول
(الذين) .

وما لهم - ما نافية لهم جار و مجرور خبر مقدم ، وعلم مبتدأ مؤخر
مجرور لفظا صرفا ع م حالا و الجملة حال من فاعل يسمون .

أن - نافية يعفي ما و (إلا) اداة تفريغ والظن مفعول به لفعل يتبعون .

الله - إلَهُ الْجَارِ وَالْمُجْرُورِ خَبْرُ مَقْدَمٍ ، وَمَا اسْمُ مُوصَلٍ مُبْتَدَأٍ مُؤْخَرٍ .

ليجزي - لام التعليل ، ويجزى فعل مضارع منصوب بلام

التعليق .

ألا - اداة استثناء، واللم مستثنٍ . وقيل لا استثناء فيه أصلًا .

وتكون كلية الا صفة بمعنى غير .

اذ - ظرف منصوب بمحذوف ، والتقدير اذ كروا إذ انشأكم اولا
فلا تزكوا انفسكم - الفاء لترتيب النهي عن تزكية النفس .

المعاني

(وَكُمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تَغْنِي شَفَاعَتَهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ
بَعْدِ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضِي) .

يعني أن أمر الشفاعة أمر ضيق محدود . فان الملائكة مع قربتهم و كثرتهم لو شفعوا بأجمعهم لاحد لم تقن شفاعتهم شيئاً قط ، ولا تنفع إلا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشا . الشفاعة له ويرضاه ، ويراه أهلاً لأن يشفع له . فكيف تشفع الاصنام اليه لعبادته لهم . وهي حجر أصم .

(اَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةُ الْاَنْشَى
وَمَا لَهُمْ بِمِنْ عِلْمٍ ، اُنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنُّ ، وَانَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ
الْحَقِّ شَيْئاً) .

أي أن هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا ينجذبون من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المترzin عن سمات النقصان على الاطلاق تسمية الانشى بقولهم (ان الملائكة بنات الله) بفعلوهم أناة وسموهم بناتا . وحال انهم لا علم لهم بما يقولون أصلاً ، وما يتبعون في قولهم هذا إلا الظن الذي لا يبني على أساس ، ولا ريب ان هذا الظن في مثل هذه المسائل لا يغنى من الحق شيئاً . إذ المعلوم ان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشى ، وما هو عليه انا يدرك ادراكاً معتقداً به اذا كان عن يقين لا عن ظن وتوهم . فلا يعتمد بالظن في شأن المعارف الحقيقة والمطالب الاعتقادية التي يلزم فيها الجزم عن علم ثابت .

(فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ، ولم يرد إلا الحياة الدنيا ،
ذلك مبلغهم من العلم ، ان ربك هو أعلم بن ضل عن سبile ، وهو
أعلم بن اهتدى) .

أي فأعرض عن من أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم وهو القرآن
العظيم ، المنطوي على بيان الاعتقادات الحقة . المشتمل على علوم
الاولين والآخرين ، أعرض عن هؤلا . ولا تأبه بهم ولا تجادهم ،
فهؤلا . قصر وانظرهم على الدنيا فشغافتهم عن التفكير فيما بعد الموت
فغاية علمهم لا تتجاوز شؤون الدنيا . لذلك لا تغيرهم اهتماما لأن الله
أعلم بن ضل وركب رأسه وسد عن سبile . وأصر على الضلال ولم
يرجع الى المدى أصلا . وكذلك ربك أعلم بالمهتدين الذين ينشدون
الحقيقة ويحبون الهدایة من الله تعالى .

(والله ما في السماوات وما في الارض ، ليجزي الذين أساوا
بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، الذين يجتنبون كبائر الامم
والفواحش إلا اللهم ، ان ربك واسع المغفرة ، هو أعلم بكم إذ
انشأكم من الارض ، واذ انتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا
انفسكم هو أعلم بن اتقى) .

أي له ذلك على الوجه الامم ، لا يشاركه في ملكته أحد
سواء ا كانوا آلة أو ملائكة . ليجزي الصالين بعقاب ما عملوا من
الاساءات ويجزى الذين اهتدوا بالمشورة الحسنى التي هي الجنة . علما
بأن الكلام مسوق لوعيد المعرضين عن هدى الله ، وان تسوية هذا
الملاك العظيم لهذه الحكمة . فلا من ضال ومهتد إلا أن يلقى كل
ما يستحق .

وَجُوزَوا أَنْ يَكُونَ مِعْنَى (فَأَعْرَضْ) أَيْ فَلَا تَقْبَلُهُمْ بِصُنْعِهِمْ
وَكَانُوكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ أَنْ أَعْلَمُ بِكُمْ وَبِهِمْ .

وَالَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْأُثُمَ كَالشُّرُكَ بِاللَّهِ ، وَالْقَتْلُ بِغَيْرِ حَقِّ
الْزِّنَا وَالرِّبَا ، وَعَقوَّقُ الْوَالِدِينَ ، وَشَهَادَةُ الزُّورَ ، وَكُلُّ مُعْصِيَةٍ ذَنَبَهَا
كَبِيرٌ ، وَقِيلَ أَنَّ مِنَ الْكَبَائِرِ أَكْلُ الْمِيتَةِ وَلِحْمُ الْخَنَزِيرِ . وَمَالِ الْيَتَامَى
وَالْفَرَارُ مِنَ الزَّحْفِ فِي سَوْحِ الْجَهَادِ لَا يَفْلُتُونَ مِنْ قَبْضَةِ اللَّهِ .

أَمَا الْلَّامَ كَصَفَّائِرُ الذُّنُوبِ الَّتِي تَعْمَلُ بِلَا قِصْدٍ وَلَا مَدَاوِةٍ .

كَالنَّظَرَةَ ^(١) وَالْغَمْزَةُ وَالْقَبْلَةُ . فَإِنْ أَمْرُهَا أَخْفَ . وَقِيلَ أَنَّهُ لَا كَبِيرَةٌ
مِنَ الْأَسْتَغْفَارِ وَلَا صَغِيرَةٌ مِنَ الْاَصْرَارِ ^(٢) .

هَذَا وَإِنَّ اللَّهَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مَا يَشَاءُ
مِنَ الذُّنُوبِ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا . قَالَ ذَلِكَ سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى لَئِلَّا يَأْسُ
صَاحِبُ الْكَبِيرَةِ مِنْ رَحْمَةِ ^{هـ} . وَلَا يَتَوَهَّمُ وَجْهُ الْمَقَابِ عَلَيْهِ عَزَّ
وَجَلَ . وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِكُمْ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ . وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ فِي
ضَمْنِ اِنْشَاءِ أَبِيهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأَرْضِ . بِاعتِبَارِ أَنَّ الَّذِي
نَاهَىٰ مِنَ الْأَغْذِيَةِ الَّتِي مَنْشُؤُهَا مِنَ الْأَرْضِ وَيَعْلَمُ عَنْكُمْ كُلُّ شَيْءٍ .
قَبْلَ أَنْ تَكُونُوا أَجْنَةً فِي بَطُونِ أَمْهَاتِكُمْ وَبَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ وَجْهَتُمْ إِلَى
الْدُّنْيَا ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَا تَرْزُكُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَمْدُحُوهَا .
بِالطَّهَارَةِ عَنِ الْمَعَاصِي . بَلْ اشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى فَضْلِهِ وَمُعْصِيَتِهِ فَقَدْ عَلِمَ
الْزَّكِيُّ وَالْتَّقِيُّ مِنْكُمْ أَوْلًا وَآخَرًا .

* * *

(١) عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ تَفْسِيرُ الْكَشَافِ مِنْ ٨ ج٤ ٢

(٢) تَفْسِيرُ رُوحِ الْمَانِيِّ سُورَةُ النَّجْمِ مِنْ ٦٣ .

أفرأيت الذي تولى (٣٢) وأعطي قليلاً وآكدى (٣٤) أعنده
 علم الغيب فهو يرى (٣٥) ألم يُنْبَأَ بما في صحف موسى (٣٦) وإبراهيم
 الذي وَفِي (٢٧) ألا تزدُرُوا زرَّاً ووزرَ آخرَ (٣٨) وإن ليس
 للإنسان إلا ما سعى (٣٩) وأن سعيه سوف يُرى (٤٠) ثم يُجزاه
 الجزء الأولي (٤١) وإن إلى ربك المتنهى (٤٢) وإنَّه هو أضحك
 وأبكى (٤٣) وإنَّه هو أمات وأحياناً (٤٤) وإنَّه خلق الزوجين
 الذكر والأنثى (٤٥) من نطفةٍ إذا تمنى (٤٦) وأنَّ عليه النسأة
 الأخرى (٤٧) وإنَّه هو أغنى وأفقى (٤٨) وإنَّه هو ربُّ الشعري
 (٤٩) وإنَّه أهلك عاداً الأولى (٥٠) وثُوَدَّاً فأبقى (٥١) وقومَ
 نوح من قبلٍ إنهم كانوا هم أظلمَّ وأطغى (٥٢) والمؤتفكةُ أهوى
 (٥٣) ففسَّرها ماغشى (٥٤) فبأي آلاً ربك تماري (٥٥) هذان ذير
 من النذر الأولى (٥٦) أزَفَت الآزفة (٥٧) ليس لها من دون الله
 كاشفة (٥٨) أفن هذا الحديث تعجبون (٥٩) وتضحكون ولا تبكون
 (٦٠) وأنتم سامدون (٦١) فاسجدوا لله واعبدوا (٦٢) .

اللغة

(تولى) ارتد وصد عن الآيات . « واكدى » - منع وقطع
 ما اتفق عليه . « صحف موسى » - التوراة . « وَفِي » - هم ما أمر به .
 « وزر أخرى » - نفس حاملة حمل أخرى من الذنوب . « الأولي »
 الْأَمْ وَالْأَكْل . « المتنهى » - المرجع والمصير بعد الموت . « أضحك »
 أفرح . « أبكى » - أحزن . « أمات » - في الدنيا . « أحيا » - للبعث
 « الزوجين » - الصنفين . « النطفة » - الماء القليل مشتق من نطف

الما، اذا قطر . « تُنْتَنِي » - يقال مَنْتَنِي الرجل وامنى . اذا ادفق في الرحم . « النشأة » - الحلقة الاخرى للبعث بعد الحلقة الاولى . « اغنى واقنی » - أعطى مالا كثيراً يدوم ويبقى . « الشعري » - كوكب كان يبعد في الجااهلية . « عاد ونُود » - قوم هود وصالح . « اظلّم واطغى » - اكثروا ظلماً وطغياناً . « المؤتفكة » - قرى قوم لوط المقلوبة . « فعشهاها » - فعظاتهاها . « آلا، الله » - نعمه . « تمارى » - تتشكل . « ازفت الآزفة » - قربت القيمة . « كاشفة » - نفس تظهرهـا . « الحديث » - القرآن . « تضحكون » - تستهزئون . « سامدون » - لا هون غافلون .

الاعراب

الذى - اسم موصول مفعول أول لرأيت . وجملة اعنة - مده علم الغيب
مفعول ثان لها .

ان لا - ان مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن ممحض . وجملة
لا تزر خبرها . ومحل الجملة الكبرى الجر على انها بدل من
ما الموصولة . في صحف موسى . أو ان محلها الرفع على انه -
خبر مبتدأ ممحض . كأنه قيل : ما في صحيفتها ؟ فقيل هو
ان لا تزر .

(الجزء الاولى) الجزء مصدر مبين للنوع . وجوزوا كونه

مفعولاً به . بمعنى المجزى به . وحينئذ يكون الفعل في حكم المتعدي
إلى ثلاثة مقاعيل . وبعضاً يجعل (الجزء) منصوباً بنزع الحافظ .
يرى المخери والرمانى . وجاء : إن الكلمة (كاشفة) يحتمل
أن تكون مصدراً مثل الكلمة العافية^(١) .

(١) السكاف سورة (النجم) س ٤١٩ . وكذلك ذكرت في تفسير روح للرمانى
في الجزء السادس والثلاثين من ٧٢ . انتهى .

المعانى

أي افرأيت الذي تولى ، واعطى قليلاً واكدى ، اعنه علم الغيب فهو يرى ، أم لم ينبا بما في صحف موسى ، وابراهيم الذي وفي ، لا تزر وازرة وزر اخرى ، وان ليس للانسان إلا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاولى .

أي : ارأيت الذي تولى واعرض عن اتباع الحق ، وزاغ عن الاعان واعطى قليلاً من المال ثم امتنع بعد ذلك عن المطا .

روى ان الوليد بن المغيرة كان قد اتبع رسول الله ﷺ فغيره بعض المشركين وقال له انا اضمن لك ان رجعت الى الشرك والى عبادة قومك ، على ان تعطيني شيئاً من المال ، فقبل الوليد ذلك واعطاه بعض ما كان ضمنه له ، ثم بخل ومنعه ما له . فنزلت هذه الآيات تذمه لرجوعه عن الحق وخلفه الوعد . فيقول سبحانه وتعالى هل نزل على هذا الانسان الذي اعرض عن الحق قرآن من عالم الغيب يخبره ان ما صنعه حق ؟ ... ثم الم ينبا بما في صحف موسى الذي وفي ما عليه ؟ لم يعلم بما جاء في تلك الصحف (لا تزر وازرة وزر اخرى) . وانه ليس للانسان إلا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى يوم القيمة ثم يجزاه الجزاء التام . وان الى ربكم نهاية الخلق ومنتهاهم .

* * *

(وانه هو اضحك وابكي ، وانه هو امات واحيا ، وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا قنني) .
اي لم يعلم ان الله هو الذي خلق قوة الضحك وقوة البكاء ،

فاضحك الذين وهم السعادة في الدارين ، وابكي الذين حرمهم من السعادتين ؟

وانه هو الذي خلق الموت والحياة فيميت من يشا ، وينخلق من يشا ، وانه هو الذي خلق الزوجين الذكر والانثى من الانسان والحيوان . خلقهما من نطفة اذا تمنى وتدفق في الرحم لا يفرق فيما بين الذكر والانثى .

* * *

وان عليه النشأة الاخرى ، وانه هو اغنى واقنى ، وانه هو رب الشعري ، وانه اهلك عاداً الاولى ، ونمود فا ابقي ، وقوم نوح من قبل انهم كانوا اظلم واطفى ، والمؤتفكة اهوى فغشاها ماغشى ، فبأي آلاء ربك تتراءى ؟

أي هو وحده عليه الاحياء بعد الاماتة . وانه وحده الذي اغنى بالمال والمنقولات ، واقنى بالعقارات الشابتة . وانه هو رب الشعري التي كان الناس في الجاهلية يتخدونها دبا . وفي ذلك اشاره الى نفي تأثيرها . وانه هو الذي اهلك القدماء من القبائل والامم كقوم عاد وقوم ثمود ثم قوم نوح الذين كانوا اظلم واطفى من الفريقيين . وكذلك اهلك المؤتفكة . وهي قرى قوم لوط . سميت بذلك لأنها إتفكت بأهلها أي انقلبوا بهم . ومنه الافك لانه قلب الحق . فغشاها من هول العذاب ما غشاها . فبأي مخلوقات ربك إليها الانسان تتشكل وتتجدد وتتكرر قدرة الله تعالى ؟

(هذا نذير من النذر الاولى ، أزفت الآزفة ، ليس لها من دون الله كاشفة ، أفن هـذا الحديث تعجبون ، وتأضحكون ولا

تَبِكُونَ ، وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ، فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا) .

الإشارة الى القرآن الكريم ، أو الى الرسول العظيم . أي انه هو نذير من جنس النذر الاولى التي كانت تنزل على الامم السابقة .
فَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ ، وَلَا تَعْظُمُونَ بِمَا حَلَّ بِغَيْرِكُمْ .

أَزْفَتِ الْآزْفَةَ وَقَرِبَتِ الْقِيَامَةَ ، لِئِسْ لَهَا مِنْ دُونَ اللَّهِ نَفْسٌ
كَاشِفَةٌ تَكْشِفُهَا وَتَزِيلُهَا عَنْكُمْ . بَلِ الْاَمْرِ كُلِّهِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَفْنَى
هَذَا الْقُرْآنَ أَوِ الرَّسُولُ تَعْجِبُونَ اِنْكَارًا ، وَتَضَحَّكُونَ اسْتِهْزَاءً ،
وَلَا تَبْكُونَ ؟ وَالْبَكَاءُ وَالخُشُوعُ حَقٌّ عَلَيْكُمْ)^(١) . ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ أَنْتُمْ
سَامِدُونَ وَشَاهِنُونَ مُبْرَطُونَ وَلَا هُوَنَ لَاعِبٌ - وَنَ ? فَاسْجُدُوا لِلَّهِ
وَاعْبُدُوا وَلَا تَعْبُدُوا غَيْرَ اللَّهِ .

قال صاحب الكشاف عن رسول الله ﷺ (من قرأ سورة
والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق محمد وحد به
بمكة . وقال : انه روى عن رسول الله ﷺ انه لم ير صاحكاً بعد
نزولها .

(١) سورة والنجم س ٤١٩ .

البَابُ الْثَانِي
الفَصْلُ الْأَوَّلُ
تَوْطِيْة
السَّنَةِ النَّبُوِيَّةِ

هي الاصل الثاني من اصول التشريع الاسلامي . والسنۃ لغة الطريقة المسلوکة، وفسرها بعضهم بالطريقة المعتادة ، سواه اكانت حسنة أم سیئة مستدلا بالhadīth الشریف من سن "سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة" ، ومن سن "سنة سیئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها يوم القيمة" .

وتطلق السنۃ في عرف الفقهاء على ما ليس بواجب فالمطلوب فعله إن طلب على وجه الحتم فهو واجب وان طلب لا على وجه الحتم فهو سنة . وقد يطلقها بعض الفقهاء على ما واظب على فعله الرسول مع ترك ما ترك بلا عذر .

واما السنۃ في عرف المحدثین وجهه - ورد اهل الشرع فھي كل ما صدر عن الرسول ﷺ من قول او فعل او تقریر ، سواه اصدر عنه باعتباره رسولاً أم باعتباره انساناً من البشر .

اما في اصطلاح الاصوليين فھي : ما صدر عنه من قول او فعل

او تقرير، من حيث كونه دليلاً على الاحكام ومصدراً من مصادر التشريع .

* * *

حجية السنة ووجوب اتباعها

اجمع المسلمون على ان سنة رسول الله ﷺ مصدر من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم فهي اما مبينة له او مكملة لما جاء به من تشريع الاحكام ، وان ما ورد بها من احكام يجب اتباعه والعمل به حتى ثبت ودوده وصح نقله ، والدليل على ذلك من عدة وجوه .

الاول : ان الله سبحانه وتعالى امر الرسول بالتبليغ ، فقال :
(يا ايها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته ، والله يعصمك من الناس)^(١) وقال (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُنزل اليهم ولعلهم يتفكرون)^(٢) فقدم امر سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ان يبلغ الرسالة وبيانها للناس . وما دام التبليغ بأمر من الله فانه يجب طاعته فيما يبلغ وما بين إذ لا فائدة في تبليغه وتبيينه اذا لم يجب اتباعه .

الثاني : ان الله سبحانه وتعالى فرض على المسلمين اتباع امر الرسول وجعل عصيانه ضلالاً مبيناً فقال تعالى : (وما كان المؤمن ولا مؤمنة اذا قضي الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم

(١) سورة المائدة الآية ٧١ .

(٢) سورة النحل الآية ٤٥ .

ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً^(١) . كما انه سبحانه وتعالى جعل اتباع الرسول وسيلة للرحمة والمغفرة ، (قل انْ كُنْتُمْ تَحْبُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوهُنِّي يَحْبِبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذَنْبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ^(٢) . وقال تعالى : (وَمَا آتَكُمُ الرَّسُولُ نَخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَقَابِ^(٣) .

الثالث : ان رسول الله ﷺ بين صراط القرآن فيما اجمله من الفرائض والاحكام مثل : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، إذ لا سبيل الى أدائها بصفتها التامة إلا باتباع السنة التي بيّنت أوقاتها وشروطها . فقد صلى عليه الصلاة والسلام وقال : (صلوا كما رأيتوني أصلى) وحج وقال : (خذدوا عني مناسككم) . وحيثند فأداء الفرائض القرآنية الجملة يستلزم اتباع السنن التي وردت بيانها ويلزم من ذلك اتباع كل سنة شرعية صدرت عن الرسول المقصوم متى وردت اليانا بالطرق الموثوقة بصحتها .

الرابع : ان الصحابة أجمعوا في حياة الرسول وبعد وفاته على التزام العمل بسننته ووجوب اطاعته فيما قضى به وافتى فيه مما ليس في كتاب الله تعالى وكانوا يرجعون الى السنة يبحثون فيها عن الحكم الذي يريدون الوصول اليه اذا لم يجدوه في القرآن الكريم . بذلك على هذا حديث معاذ الذي اعتبر دستوراً للقضاء والافتاء والاجتهاد . فقد روی ان رسول الله ﷺ سأله معاذ حين ولاه القضاء .

(١) سورة الاحزان الآية ٣٧ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٢ .

(٣) سورة الحجر الآية ٨ .

باليمن) فقال : كيف تقضى اذا عرض لك قضا . قال معاذ رضي الله عنه اقضى بكتاب الله ، فان لم أجد فبسنة رسول الله ، فان لم أجد اجتهاد رأيي) . وكذلك كان صحابة رسول الله رضوان الله عليهم حين ينشدون حكم حادثة ترفع اليهم فيبحثون عن حكمها في كتاب الله تعالى أولا ، فان لم يجدوا لها حكماً فيه رجعوا الى سنته عليه افضل الصلاة والسلام . فان وجدوا الحكم فيما تمسكوا بها ولم يعدلوا عنها ولم يسوغوا لانفسهم اجتهاداً ولا بحثاً في غيرها . فالسنة هي المرجع الثاني لمعرفة الاحكام واستنباطها بعد كتاب الله الكريم الذي هو المرجع الاول . مستدلين على ذلك بأمور منها :
أولا : ان القرآن الكريم مقطوع به من حيث ثبوته ونقله
الينا بطريق قطعي لا شك فيه هو طريق التواتر . والسنة ليست
كذلك فانها ظنية من حيث ثبوتها ونقلها ، إلا في المتواتر منها وهو
قليل ، ثم ان القطع فيها اما يصح في الجملة لا في التفصيل . أما الكتاب
فقطوع به جملة وتفصيلاً والمقطوع به مقدم على المظنون فلزم من
ذلك تقديم الكتاب على السنة .

ثانياً : مادل على ذلك من الاخبار والآثار فالرسول صلوات الله
وسلامه عليه كان في حياته اذا استُفتى أو سُئل عن حادثة اتبع
حكمها في القرآن وما كان يَسْنُن حكماً باجتهاده الا حيث لا يوحى
عليه بقرآن . وعلى هذا درج أصحابه فأبا بكر الصديق في خلافته
كان اذا وردت عليه الخصومة نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما
يُقْضي به قضى ، وان لم يجد في الكتاب قضى بسنة النبي ، فان أُعياه
ذلك سأل المسلمين ، فقال اتاني كذا و كذا فهل علمتم ان رسول الله

قضى في ذلك الامر بقضاء . فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكرون عن رسول الله قضا . قضى به فيقول : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ سنة نبينا .

ثالثاً : ان السنة النبوية شارحة ومفسرة لجمل الآيات القرآنية وهي المرجع الثاني بعد القرآن الكريم .

والسنة بالنسبة للاحكم الشرعية المستقاة منها لا تعدد ثلاثة أوجه :

الاول : سنة شرعت ما شرع الله في كتابه الكريم فتكون سنة مقررة لما جاء به من الاحكام داعية الى اتباعها وتنفيذها كما اذا ورد في السنة شيء عن أصحاب الفروض المبينة في القرآن او ورد فيها أمر بأداء الزكاة او الحج ، او بأداء الامانات والوفاء بالعقود ، او نهى عن الفواحش وقول الزور وقتل النفس إلا بالحق .

الثاني : سنة بينت ما شرعه الله في القرآن بتوضيح مجمله وتحصيص عامه وتقييد مطلقه وتعيين المراد من نص محتمل لمعنيين او اكثر فتكون سنة مفسرة للكتاب . فالله سبحانه وتعالى فرض علينا في القرآن الصلاة والزكاة والصوم والحج ولتكنه لم يبين كيف نؤديها ولا ما يجب لها من اركان وشروط بفات السنة مبينة في الصلاة عدد الفرائض وقت كل صلاة وعدد ركعاتها واركانها وشروطها كما بينت في الزكاة مقدار النصاب والاموال التي تزكي ومقدار ما يجب اخراجه من كل نوع ومثل ذلك في الصوم والحج ومن أمثلة هذا النوع من السنة عدم جواز الوصية للوارث إلا باجازة الورثة وتحديد نصاب السرقة لوجوب القطع .

وَمَا لَا شَكَ فِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا شَرَعَهُ مِنْ
الْأَحْكَامِ الْقَرَآنِيَّةِ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْهُ سُلْطَانٌ إِلَيْهِ الْبَيَانُ وَالْتَّفْسِيرُ غَيْرُ أَنْ يَبَيِّنَ
هَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْهَمَامِ وَوَحْيِ إِلَهِي لَا نَهُ لِمَجَالٍ لاجتِهادِ الْمَعْقُلِ فِيهِ
فَالرَّسُولُ إِذَا بَيَّنَ بِمَحَاجَةٍ أَوْ خَصْصَ عَامًا أَوْ قَيْدَ مُطْلَقاً أَوْ عَيْنَ الْمَرَادِ مِنْ
نَصْ مُحْتَمَلٍ فَعَنِ اللَّهِ بَيْنَ أَوْ خَصْصَ أَوْ عَيْنَ وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ كُلُّ
مَا حُكِّمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ فَسَلَّمَ فَهُوَ مَا فَهِمَهُ مِنَ الْقَرَآنِ .

عليه الصلوة والسلام مستمد من آيات القرآن الكريم وروحه التشريعية العامة .

* * *

الحديث

لقد تبين من خوى ما نقدم ان تعريف الحديث كالتالي :

الحديث لغة : الخبر أي خبر كان .

والحديث اصطلاحاً : هـ ما جاء عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير .

وقيل بين الحديث لغة والحديث اصطلاحاً عموم وخصوص مطلق . فكل حديث خبر وليس كل خبر حديثاً .

الفرق بين الحديث والسنّة

علمنا ان الحديث ما نقل عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير كما ذكرنا آنفأ .

أما السنّة : فانها تطلق على معنى الواقع العملي منذ عصر الرسالة الى آخر عهد الصحابة .

وربما نقل - حديث - والعمل المأثور في عهد رسول الله ﷺ على خلافه . فينتزد يقال : في الحديث كذا ، والسنّة على كذا .

الفصل الثاني

تدوين الحديث

مضى عهد رسول الله ﷺ ولم تدون فيه أحاديثه وسننه كما دُون القرآن إلا ما ورد من كتابة بعض الصحابة فقد روى أحد في مسنده عن عبد الله بن عمر قال كنت أكتب كل شيء، أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهنني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء، تسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: أكتب فهو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق.

و كذلك روى أن سيدنا عمر بن الخطاب أراد أن يكتب أحاديث الرسول ثم لم يلبث أن رغب عن الكتابة لئلا يتبع كتاب الله بشيء منها، غير أن هذا الخوف والتrepid قد زال في نهاية المائة الأولى من الهجرة ففي الموطأ من رواية محمد بن الحسن أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الشفاعة أن انظروا إلى حديث رسول الله ﷺ فاجتمعوا وأكتبوه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء.

ولقد امتاز في هذا العصر بكتابه الحديث أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ولكن لم يصل إلينا شيء عن جمع هذين العالمين الجليلين.

الرحلة في طلب الحديث

كان طلاب حديث رسول الله ﷺ يقطعون الفيافي ويجهبون الامصار
ويلاقون المتابع المضنية من قلة الزاد وبعد السفر ومشقة الطريق
في طلب الحديث غير مبالين بما يعترضهم من عنا، وفقر وعداوة .
روى عن أبي الدرداء انه قال : (لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجده
أحداً يفتحها عليٌّ إلا رجل يبرك الغماد لرحلت اليه)^(١) .
وهذا جابر بن عبد الله بلغه حديث عن رجل من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فابتاع بغيراً فشد عليه رحله ثم سار شهراً حتى
قدم الشام^(٢) .

وكان مسروق وأبو سعيد يرحلان في حرف حتى يجداه .
وقال الشعبي : (لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى
اليمن ليسمع كلام حكمة ما رأيت أن سفره ضاع)^(٣) .

وقد جاء في كتاب ضحى الاسلام ان المحدثين كانوا انشط
الناس لرحيل ، وأصبرهم على عنا . ذلك ان الصحابة عند الفتح
تفرقوا في الامصار . فنهم من سكن فارس ، ومنهم من سكن
العراق ، ومنهم من سكن الشام والمغرب .

وكان كل هؤلاً يحملون حديثاً عن رسول الله ﷺ ، أخذوه
عنهم التابعون ومن بعدهم . فكان في كل مصر طائفة من الحديث

(١) بر克 اللقاء موسم يانعى اليمن يضرب به للتل في بعد .

(٢) كتاب جامع بيان العلم ١ / ٩٢ .

(٣) جامع بيان العلم ٩٥ .

لَا تُعْرَفُ فِي الامْصَارِ الْأُخْرَى . فَجَدَ الْعَالَمُ، فِي الرَّحْلَةِ يَأْخُذُونَ
الْأَهَادِيثَ عَنْ أَهْلِهَا ، وَيَجْمِعُونَ مَا تَفَرَّقَ مِنْهَا . وَكَانَ بَاعْثَمِ الدِّينِيِّ
يَذَلِّلُ كُلَّ عَقْبَةٍ ، وَيَسْهُلُ كُلَّ مَشْقَةٍ - فَشَلَّا - يَحِيَّيِّ بْنَ يَحِيَّيِّ الْلَّيْثِيِّ
الْأَنْدَلُسِيِّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرُقِ وَهُوَ ابْنُ ثَانِ وَعِشْرِينَ سَنَةً فَسَمِعَ مِنْ
مَالِكَ بْنِ أَنْسٍ الْمُوْطَأَ فِي الْمَدِينَةِ ، وَرَحَلَ إِلَى الْمَكَّةِ فَسَمِعَ مِنْ سَفِيَّانَ
ابْنِ عَيْنَةَ ، وَرَحَلَ إِلَى الْمَصْرِ فَسَمِعَ مِنْ الْلَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ، وَعَبْدَاللَّهِ بْنِ
وَهْبٍ ، وَعَبْدَالرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ^(١) ، وَمُسْلِمَ بْنِ الْحَجَاجِ صَاحِبِ الصَّحِيفَةِ
وَكَانَ بَنِي سَابُورَ وَمَاتَ بِهَا^(٢) .

وأما البخاري صاحب الصحيح فقد دخل في طلب الحديث
إلى أكثر محدثي الامصار وكتب بخراسان والجibal ومدن العراق
والحجاج والشام ومصر وقدم بغداد واجتمع إليه أهلها .

ثم يعقب صاحب ضحى الاسلام بقوله :

(هكذا كانت المملكة الاسلامية في انتقال العلما من مكان الى مكان كأنها رقعة شطرونج وهم يبادقها ، فترى العالم منهم في المشرق فإذا هو بالandalus اذا هو في العراق ، وفيها هو في العراق اذا هو ببصر والشام ، لا يعوقهم فقر ، ولا يافت في عزتهم صعوبة الطريق واحتقاره ، سواء عليهم الصحراء وحرها ، والبحار وأمواجها . إذ تغلل في نفوسهم اعتقاد ان طلب العلم جهاد . فمن مات في سبيله مات شهيداً . هذا الى ان العلم عند كثير منهم أصبح مقصدآ لا وسيلة ، يقصد لذاته ، ويرغب فيه المذته ، سواء انتجه غنى او فقرا ، وحياة

۱) ابن خلکان / ۲ - ۳۲۱

۶۴۹ / ۱) ابن خلکان (۲)

أو موتاً . قال أبو عمرو بن العلاء : قيل لـ زندر بن واصل : كيف شهوتك للأدب ؟ قال : اسمع للحرف منه فتود أعضاني إن لها أسماعاً تتنعم مثل ما تنعمت الآذان . قيل : و كيف طلبك له ؟ قال : طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره . قيل : و كيف حرصك عليه ؟ قال : حرص المجموع المنوع على بلوغ لذته في المال^(١) .

وهذا^(٢) الإمام أحمد بن حنبل بعد أن أخذ الحديث عن المحدثين في بغداد علم بأن المحدثين في عصره كانوا متفرقين بالامصار فاتجه إلى الرحلة سنة ١٨٦ هـ فرحل إلى البصرة ثم إلى الحجاز وفيها كان أول لقاء له بشيخه الشافعي رضي الله عنه . ثم رحل إلى الكوفة ثم إلى اليمن حتى أصابه الجهد الشديد ، فقد نفذت نفقاته . وكان يؤجر نفسه للجالين بقليل من المال كما كان يتولى بعض أعمال النسيج ليتفق على نفسه من عرق جبينه . وكان في صحبته بعض الأغنياء الذين حاولوا أن يقرضوه فلم يقبل ، لأنه لا يريد أن يكون لأحد عليه فضل إلا فضل العلم والتألق .

طاف الإمام أحمد الأقاليم الإسلامية طالباً للحديث لا يستكثر الكثير من التعب يحمل حقائب كتبه على ظهره . وقد رأه بعض عارفيه وهو يعلم كثرة ما رواه من الحديث وحفظه وكتبه فقال له : صرة إلى الكوفة ومرة إلى البصرة ومرة إلى الحجاز ومرة إلى اليمن . إلى متى ؟ فقال أحمد رضي الله عنه (مع الخبرة إلى المقبرة) .

وهذا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى رحل من قريته بونغ إلى

(١) نقل عن معجم الأدباء ١٩ / ١ .

(٢) المجلد الأول من تراث الإنسانية من ١٨٦ للشيخ محمد أبو زهرة .

مدينة ترمذ طلباً لسماع الحديث من افواه اكابر المحدثين فطاف
خراسان ودخل الى العراق ، والى الحجاز حتى صار أحد أئمة الحديث
وشهد له كثير من العلماء .

قال ابن عماد الحنفي في شدرات الذهب (كان الترمذى مبرزاً
على الاقران آية في الحفظ والاتقان) .

ومن أحسن كتبه كتابه الجامع الكبير الذي نفع الله به
ال المسلمين ، ذكر برو كلان في تاريخ الأدب العربي اكثر من عشرين
شرعاً وختصراً لكتابه (الشمائل النبوية)^(١) وقال في حقه انه كتاب
جمع فيه الوسائل في شرح الشمائل لعلم الرواية والدرایة .

(١) تاريخ الأدب العربي ج ٣ ص ١٩٤ ابو كلان ترجمة المرحوم الدكتور
عبد الحليم النجار .

الفصل الثالث

دور الحديث الشريف والقاب المحدثين

ذكر الدكتور صبحي الصالح في كتابه علوم الحديث ومصطلحاته^(١) أن أول دار للحديث انشئت في القرن السادس الهجري تحقيقاً لرغبة نور الدين محمود بن أبي سعيد زنكي الذي خلد اسمه بانشاء المدرسة النورية في دمشق، وكان بن عساكر صاحب تاريخ دمشق من شيوخ هذه المدرسة توفي سنة (٥٧١) هـ. وبعد عشرات السنين قامت في القاهرة دار للحديث بأمر الملك الايوبي الكامل ناصر الدين، وقد تم تأسيسها سنة ٦٢٢ هـ. وكان أول أستاذ فيها هو الحافظ عمر بن الحسن المشهور بابن دحية. وهو اندلسي بلنسي توفي بالقاهرة سنة ٦٣٣ هـ. له كتاب (التنوير في مولد السراج المنير).

وبعد أربع سنوات من تأسيس المدرسة الكامالية نشأت في دمشق المدرسة الاشرافية سنة ٦٢٦ هـ. فكان أول شيوخها أبا عمر تقى الدين عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهير زوري المشهور بابن الصلاح توفي سنة ٦٤٣ هـ.

ولقد قامت دور أخرى للحديث. ولكن لم تكن ذات شأن

(١) كتاب علوم الحديث من ٧٣

عظيم ، ولم تك تشفى غلة الوعين من طلاب الحديث الذين ظلوا يؤثرون الرحلة والطواف بالاقاليم الاسلامية .

لعل الدكتور الصالحي قصر دور الحديث على هذه الدورات التي ذكرها لأن لها صفة رسمية وموارد وأنظمة خاصة بها وإنما ذلك دور آخر لم يتعرض لذكرها، نشأت منذ نشأة الإسلام. وفي مكة مثلاً ظل العلماء يتدارسون الحديث طبقة عن طبقة. فقد اشتهر من القابعين من علماء مكة مجاهد بن جبر وعطاء بن رباح وغيرهما. وجاءت بعدهم طبقة أخرى اشتهر منها عمر بن دينار، وكان ثقة ثبتاً كثير الحديث، وكان يفتى الناس بـمكّة. فكان فقيهاً ومحدثاً وقد توفي سنة ١٢٦هـ وخلفه في افتاء الناس في مكة عبد الله بن أبي بحريح توفي سنة ١٣٢هـ. وجاءت بعد هذه الطبقة طبقة أخرى. وهذه هي التي عاشت في العصر العباسي وأشهرهم عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج. كان كثير الحديث جداً وكان عالماً من أعلام مدرسة مكة.

واشتهر من الطبقة التي تليه سفيان بن عيينة الذي كان كوفي الأصل، ثم انتقل إلى مكة وبها مات سنة 198هـ. وقد أخذ عنه الشافعى وأحمد بن حنبل و محمد بن إسحاق وغيرهم . وفيه قال الشافعى : (لولا مالك و ابن عيينة لذهب علم الحجاز) .

وأما المدينة فاستمرت مدرستها ونبغ فيها ربيعة الرأي ، كان
فقيه أهل المدينة . وكان يجلس في المسجد وحوله أشراف المدينة
يأخذون عنه . وأشهر تلاميذه مالك بن أنس . وقد قال فيه مالك :
لقد ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة . توفي سنة ١٣٦ هـ . وعلى

كل حال كانت مدرستا الحجاز في مكة والمدينة من اكبر المصادر
و خاصة فيما يتعلق بالحديث ، وما يبني عليه من فقه .
وهنالك مدارس أخرى للحديث الشريف يطول تعدادها ولا
يسعها منهاج الدراسة المطلوب انجازه هنا في هذه السنة .

القـاب الحـديثـين

كان أهل الحديث ينحوون القاباً علمية للذين ينبغون في علم
ال الحديث . وكانت تلك الالقـاب في غاية الدقة ، يسبغونها عليهم
كشهادات تقدير ، تعطى لهم من الأئمة ومن المجتمع الاسلامي ،
فنـ هذه الـ اـلقـاب :

المسـند : وهو من يروي الحديث بأسناده سواه ، كان عنده
علم بمعناه ام لم يكن له إلا مجرد الرواية في دقة وحرص .
المحدث : وهو أعلى شأنـاً من المسـند ، بحيث يعرف الاسانيد
والعلل وأسماء الرجال ، ويحفظ الكثير من فنون الحديث .

الحافظ : وهو أعلى الدرجات العلمية ، لأنـه يشترط أنـ يكون
عالماً بشـيوخـه ، وشـيوخـ شـيوخـه ، طبقة بعد طبقة عالماً بالسنة ،
 بصيراً بطرقـها ، قويـ الحفـظـ كثيرـه ، حـادـ التـميـزـ بينـ الصـحـيحـ منـ
الـحدـيثـ وـغـيرـ الصـحـيحـ .

يقولـ نقادـ الحديثـ : انـ الذينـ يـجـوزـ تـسـميـتهمـ بالـحفـاظـ قـليلـونـ
فيـ كلـ زـمانـ وـمـكانـ لـماـ يـشـتـرـطـ لـهـمـ نـادـرـ الصـفـاتـ وـسـعـةـ الـعـلمـ⁽¹⁾

(1) المجلد الخامس من تراتـ الانـسانـيةـ صـ ٦٠٧ـ نقـلاً عنـ الجـامـمـ لـاخـلاقـ
الـراـويـ ١٥٩ـ /ـ ٨ـ

الفصل الرابع

علم الحديث روایة و درایة

ان علم الحديث روایة يقوم على النقل المحرر الدقيق لكل ما أضيف الى النبي ﷺ من قول او فعل او تقرير او صفة . ولكل ما أضيف من ذلك الى الصحابة والتابعين على الرأي المختار^(١) . وموضوع هذا العلم هو ذات النبي ﷺ من حيث اقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته .

واما فائدة هذا العلم فهي : معرفة ما ثبت عن النبي ﷺ من اقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته كما بينا أعلاه . وغايتها : الفوز بسعادة الدارين ، دار الدنيا ودار الآخرة .

اما فضل هذا العلم فانه من أشرف العلوم بعد القرآن الكريم لانه علم تبني عليه قواعد الاحكام ، وبه تفصل محملات آيات الكتاب الحكيم . وبه تعرف كيفية الاقتداء بالنبي ﷺ في اقواله وأفعاله وتقريراته . لقوله صلى الله عليه وسلم : (العلم ثلاثة ، آيات محكمة ، وسنة قائمة ، وفرضية عادلة ، وما سوى ذلك فهو فضل) . واضعنه : محمد بن شهاب بن مسلم بن عبد الله الزهري المتوفى

(١) كتاب علوم الحديث ومصطلحه من ١٠٧ نقاً عن كتاب المنهاج للحديث (٣٥)

سنة مائة وخمس وعشرين بأمر من الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز
المتوفى سنة (١٠١) خوف نسيان الحديث واندراسه^(١) .

الرواية في عهد الصحابة

حمل الصحابة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاجيال
من بعده وربما يغيب عن بعضهم بعض الاحاديث فيحفظه الآخرون ،
فاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غابت عن البعض لاتغيب
عن الكل .

ولقد قرر الشافعي رضي الله عنه في رسالته ان احاديث الاحد
قد تغيب عن بعض الصحابة ولا تغيب عن كلامهم .

وقد كان منهم من يعمل بالحديث وان لم يروه بالنقل . ومنهم من
كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم كان من يحفظ
الحديث ويحتاط له ، فلا يقوله خشية أن يلبس عليه المعنى أو ينطلي
في النقل . وينبغي أن ينطبق عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم (من
كذب عليّ متعمداً فليتبواً مقعده من النار) .

روى الذهبي عن إبي عمر الشيباني قال : كنت أجلس الى ابن
مسعود حولا لا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاذا قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقلته الرعدة .

وهذا يدل على أن أولئك العلية من الصحابة كانوا ينفذون
الاحكام التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن يقولوا : قال
الرسول خشية أن يقعوا في الخطأ .

(١) عن كتاب خطى للأستاذ كمال الدين الطائي مدرس المدرسة القادرية .

ويحوار اولئك الذين كانوا لا يتعذّرون بالقول كان من الصحابة
 من اكثـر من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن هـذا
 الفريق أبو سعيد الخدري وأبو هريرة وغيرهم رضي الله عنـهم^(١) .
 روى البخاري^(٢) في صحيحه ان أبا هريرة رضي الله عنه قال :
 ان الناس يقولون اكثـر أبو هريرة من الحديث . ولو لا آياتان في كتاب
 الله تعالى ما حدثت حديثاً . ثم يتـلو :

(ان الذين يكتـمون ما انزلنا من البيانات والـمـدى من بعد
 ما بـينـاه لـلنـاس في الـكتـاب او لـئـك يـاعـنـهم الله وـيلـعـنـهم الـلاـعـنـون ، إـلا
 الـذـين تـابـوا او اـصـلـحـوا او بـيـنـوا فـاـلـئـك أـتـوب عـلـيـهـم وـأـنـا التـوـاب الرـحـيم)^(٣)
 وفي الجملة ان عـصـرـ الصـحـابـة رـضـيـ اللهـ عـنـهـم كـانـ عـصـرـ الـعـلـمـ
 النـبـويـ نـقـلـهـ أـصـحـابـ رسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـطـرـيقـينـ :
 أوـلـهـماـ نـقـلـ نـصـوصـ الـاحـادـيـثـ وـافـعـالـ الرـسـولـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ
 وـسـلـمـ وـتـقـرـيرـاتـهـ .

ثـانيـهـماـ نـقـلـ عـلـمـ الرـسـولـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـطـرـيقـ الـافتـاءـ
 وـالـقـضـاءـ وـالـعـمـلـ . وـذـلـكـ ماـ كـانـ عـلـيـهـ كـبارـ الصـحـابـةـ الـذـينـ كـانـواـ منـ
 أـهـلـ الـحـلـ وـالـعـقـدـ ، كـالـخـلـفـاءـ الرـاشـدـيـنـ ، وـكـعـبدـ اللهـ بـنـ عـبـاسـ ، وـزـيـدـ
 بـنـ ثـابـتـ ، وـغـيـرـهـمـ مـنـ كـبـارـ عـلـمـاءـ الصـحـابـةـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـمـ .

(١) كتاب للنتخب من السنة للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ص ١٣ .

(٢) كتاب للنتخب من السنة للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ص ١٤ .

(٣) سورة البقرة الآية (١٦١)

رواية في عهد التابعين

جاء بعد عصر الصحابة التابعون الذين اتباعوهم باحسان . وكان منهم من التزم بعض الصحابة وتلهمذ عليه ونقل عنه . وكان لكل مدينة من مدن الاسلام حظ من علماء الصحابة . فكان بمكة من الصحابة الحارث بن هشام ، وصفوان بن أمية ، وعبد الله بن صفوان ، وأوى اليهـ عبد الله بن عباس ترجمان القرآن كما سماه ابن مسعود رضي الله عنـها .

وكان بالكوفة عبد الله بن مسعود وابو موسى الاشعري
وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه . و خباب بن الارط ، و سلمان
الفارسي ، و حذيفة بن اليمان . وكان بالبصرة من اعلام الصحابة أنس
ابن مالك ، و عمران بن حصين و ابو بكرة بن عبيد ، وغيرهم كثير .
و كان بدمشق معاوية بن ابي سفيان و عمرو بن العاص ،
و عبد الله بن عمر وغيرهم .

و كانت المدينة المنورة مأوى للجمهرة الكبيرة من الصحابة في أيام الفتن التي اثيرت بين المسلمين .

وقد تخرج على أولئك الصحابة الذين تفرقوا في المذاهب
الإسلامية طائفة كبيرة من التابعين كانوا مصدر العلم والعرفان في
عصرهم ، وقد جمعوا احاديث الرسول ﷺ وفقه اصحابه .
وهكذا اخذوا يدونون ما كان محفوظاً في صدورهم وما
كانوا يسمعونه من الصحابة . واخذ التدوين يزيد شيئاً فشيئاً حتى
دعا اليه الحاكم العادل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، فقد كتب الى

ابي بكر محمد بن عمرو بن حزم التابعي يقول له : (اكتب الى بما
يثبت عندك من الحديث عن رسول الله ﷺ ، وب الحديث عمر ، فاني
قد خشيت دروس العلم وذهاب العلما .)^(١) . ثم كتب الى ولادة
الامصار بذلك .

الرواية بعد عهد التابعين

جاء تابعو التابعين فوجدوا الروايات منقولة على السنة التابعين
مدونة في ابواب مختلفة من غير ان يجمع في كتاب قائم بذاته . حتى
جاء الامام مالك رضي الله عنه فأخذ يجمع الحديث ويدونه في كتابه
الموطأ . قال ابن حجر في مقدمة (فتح الباري) على شرح صحيح
البخاري) ما نصه :

اعلم علمي الله وآياه ، ان آثار النبى ﷺ لم تكن في عصر
الصحابة وكبار تابعيهم مدونة في الجماع ولامرتبة لامرئين :
أحدهما : انهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك خشية
أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم .

نزيهما : سعة حفظهم وان اكثراهم كانوا لا يعرفون الكتابة .
ثم حدث في آخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الاخبار .
وكانوا يصنعون كل باب على حدة الى ان قام كبار أهل الطبقة الثالثة
فذنو الاحكام فصنف الامام مالك الموطأ وتوخى فيه القوى من
حديث أهل الحجاز ، وخرجه باقوال الصحابة وفتاوي التابعين ومن
جا بهم . وفي اثناء تدوين مالك لموطنه كان تلاميذ ابي حنيفة

(١) كتاب للنونج من السنة للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

يدونون الروايات التي رویت عنه دون الامام ابو يوسف كتاب الآثار كما دون الامام محمد مثل ذلك الكتاب . وكلا الكتابين منتقل من أخبار وروایات كثيرة . لم يختزل الامامان منها إلا ما ثبتت صحته على مقاييسهم . وكلاهما كان ينقد الحديث نقد الصيرفي الماهر للدر اهم يرد زيفها ويقبل صحيحةها .

فالموطأ كتاب ضخم . ذلك ان مالكا فوق انه فقيه المدينة هو محدثها حتى قال الشافعي تلميذه : (اذا جاء الحديث فـالـكـ النـجـمـ الـلـامـعـ) . ثم اقتضى اثرهم اعلام آخرون ، دونوا الآثار وجمعوها في أبواب مرتبة على حسب ترتيب أبواب الفقه^(١) .

علم مصطلح الحديث

يطلق العلماء على الحديث دراية اسم (علم مصطلح الحديث) أو علم أصول الحديث . ويريدون به تلك الدراسات التحليلية والتاريخية لبيان احاديث النبي ﷺ منذ صدورها عنه الى الساعة التي تجري فيها تلك الدراسات مما يتعلق بأحوال وصفات الراوي والمروي . وقد عرفه بعضهم فقال :

هو علم يعرف به احوال الاحاديث النبوية واسانيدها صحة وسلسلاؤ وضعاً وعلوًّا وزولاً ، وكيفية التحمل والإدا ، وصفات الرجال بما يشتمل عليهم أو يذكر لهم بالفاظ مخصوصة .

وقيل : هو علم يعرف به احوال الراوي والمروي من حيث

(١) نقل باختصار عن كتاب للمنتخب من السنة للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية من (١٨) .

القبول والرد ، وقد جعلوا لهذا العلم عدة مباحث .

المبحث الاول علم المبروج والتعمير :

وهو علم يبحث في عدالة الراوي وقدرته على تحمل الحديث
وتمييزه وضبطه وادانه ، وأخذته المعنى من الفاظ الحديث على الوجه
الصحيح . ان كانت رواية الحديث بالمعنى .

المبحث الثاني علم رجال الحديث :

وهو علم يعرف به رواة الحديث ، هل هم من الصحابة أو
التابعين أو تابعي التابعين . ثم ما هي درجتهم بين رجال الحديث . وهل
هؤلاء الرواة مستدون فقط . أي انهم يروون الحديث باسناده . سواء
اكان عندهم علم به أم ليس لهم إلا مجرد روايته . أو كانوا من
المحدثين : أي انهم يعرفون الاسانيد والعمل وأسماء الرجال وعدالتهم
وجرحهم .

المبحث الثالث علم مختلف الحديث :

وهو علم تعرف به الاحاديث التي ظاهرها التناقض من حيث
امكان الجمع بينها أم بتقييد مطلقها أو بتخصيص عامها أو حملها على
تعدد الحادثة التي قيلت فيها .

المبحث الرابع علم علل الحديث :

هو علم يبحث فيه عن الاسباب الخفية الغامضة من حيث أنها
تقدح في صحة الحديث كوصل منقطع ، ورفع موقوف وادخال
حديث في حديث ، وما شابه ذلك .

المبحث الخامس علم غريب الحديث :

هو علم يبحث فيه عن بيان ما خفي على كثير من الناس معرفته من حديث رسول الله ﷺ بعد أن تطرق الفساد إلى اللسان العربي .

المبحث السادس علم ناسخ الحديث ومسوغه :

هو علم يبحث فيه عن الأحاديث المتعارضة التي لا يمكن التوفيق بينها من حيث الحكم على بعضها بأنه ناسخ وعلى بعضها الآخر بأنه منسوخ . فا ثبت تقدمه يقال له : منسوخ وما ثبت تأخره يقال له : ناسخ .

وقد صنف في عام مصطلح الحديث علماء كثيرون ، أو لم القاضي أبو محمد الرامهرمي في كتابه المحدث الفاصل ، ثم الحاكم أبو عبدالله النيسابوري ، ثم أبو ذئب الاصبهاني ، ثم جابر ، بعدهم الخطيب أبو بكر البغدادي ، فصنف في قوازين الرواية كتاباً سماه (الكافية) وصنف في آداب الرواية أيضاً كتاباً سماه (الجامع لآداب الشيخ والسامع)^(١) . وهكذا توالت الكتاب في هذه الابحاث ، وما زالت تتواتي إلى يومنا هذا .

(١) كتاب علوم الحديث ومصطلحه باختصار من (١٠٢) تقاويم للنهل الحديث ، والختصر في علم رجال الآخر . وكتاب التدريب . والرسالة للستطرفة (١١٥)

الفصل الخامس

كتب الحديث ومراتبها وشروط الراوي

لما جاء العصر العباسي تنبه رواة الحديث وحفظه الى وجوب تدوينه، وُجِدَت هذه النزعة في امصار مختلفة، وفي اوقات متقاربة، حتى لم يعرف منه فضيلة السبق الى تدوين السنة. ويغلب على الظن ان ذلك الجمْع كان في نهاية النصف الاول من القرن الثاني الهجري وأوائل النصف الثاني منه فكان من هؤلاء بالمدينة محمد بن اسحاق ومالك بن انس، وبمكة ابن جريج وبالكوفة سفيان الثوري، وبالبصرة حمادة بن سلمة، وسعيد بن ابي عروبة، وباليمين عمر بن راشد، وبخراسان عبد الله بن المبارك، وبالشام عبد الرحمن الاوزاعي، وببصرة الليث بن سعد، غير انه لم يصل اليانا مما جمعوه سوى موطن الامام مالك ووصف بعض المجموعات الاخرى، وكما عرف عنها انها من جمجمة الحديث بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين.

ثم جاءت طبقة ثانية على رأس المائتين رأت ان تفرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غيره فألفوا ما يعرف بالمسانيد وهي التي رتبت فيها الاحاديث على حسب رواتها من الصحابة فيذكرون مسند ابي بكر فيدونون فيه كل ما روی عنه منه ما اختلفت

الموضوعات ثم يذكرون بعده الصحابة واحداً بعد واحداً على هذا النحو ، ولما جاء ، أَحْمَدُ بْنُ حِنْبَلٍ بَعْدَهُمْ نَهْجُ زَيْجَمْ ، وَلَذِلِكَ سُمِيَّ كِتَابَهُ الْجَامِعُ لِلْحَدِيثِ مَسْنَدُ أَحْمَدَ ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا مِنْ هَذِهِ الْمَسَانِيدِ .

ثُمَّ جَاءَتِ الطَّبَقَةُ الْ ثَالِثَةُ فِي الْ قَرْنِ الْ ثَالِثِ الْ هِجْرِيِّ الَّذِي نَشَطَتْ فِيهِ حَرَكَةُ الْجَمْعِ وَالنَّقْدِ وَتَميِيزِ الصَّحِيحِ مِنَ الْفَضِيلِ وَتَعْدِيلِ الرَّجَالِ وَتَجْرِيَّبِهِمْ ، فَأَفْلَتْ أَهْمَمُ كِتَابَ الْحَدِيثِ ، وَمِنْهَا اسْتَمدَتِ الْكِتَابُ الْمَؤْلَفَةُ بَعْدَهَا ، وَعَلَيْهَا بَنَتْ وَاعْتَمَدَتْ . وَفِي طَبَقَةِ هَذِهِ الْطَّبَقَةِ كَمَا ذَكَرْتُ آنَفَاً :

- ١ - مَسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حِنْبَلٍ الْمُتُوفِّى سَنَةُ ٥٤١ .
- ٢ - الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيُّ الْمُتُوفِّى سَنَةُ ٥٢٥ . مُؤْلِفُ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ .
- ٣ - الْإِمَامُ مُسْلِمُ بْنِ الْحَجَاجِ الْنِيَسَابُورِيُّ الْمُتُوفِّى سَنَةُ ٥٢٦ . مُؤْلِفُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ . وَيُعْتَدُ كِتَابَاهَا أَصْحَاحُ كِتَابِ الْحَدِيثِ .
- ٤ - سَنَنُ بْنِ مَاجِهِ لَابِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدِ الْقَزْوِينِيِّ الْمُعْرُوفُ بِابْنِ مَاجِهِ الْمُتُوفِّى سَنَةُ ٥٢٧ .
- ٥ - سَنَنُ أَبِي دَاوُدِ سَلِيْمَانِ بْنِ الْأَشْعَثِ السِّجْستَانِيِّ الْمُتُوفِّى سَنَةُ ٥٢٥ .
- ٦ - جَامِعُ التَّرمِذِيِّ لَابِي عَيْسَى مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى التَّرمِذِيِّ الْمُتُوفِّى سَنَةُ ٥٣٠ .

وَهَذِهِ الْكِتَابُونَ هُنَّ الْمَعْرُوفَةُ فِي لِسانِ أَهْلِ الْحَدِيثِ بِالْكِتَابِ الْسَّتِّ ، وَقَدْ عَدْتُ أَصْحَاحَ كِتَابِ الْحَدِيثِ ، وَحَازَتْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ درَجَةً

عظيمة في الشقة والاعتبار والقبول . ولا سيما كتاب البخاري ومسلم
ومسنن الإمام أحمد بن حنبل .

شروط الرواية

يشترط في الرواية أن يكون بالغًا مسلماً عدلاً حين الاداء .
لا حين التحمل . ورجحان ضبطه على غفلته^(١) .

الدول البالغ :

فلا تقبل الرواية عن صبي ، لكن لتحمل صبياً مميزاً ثم روى
وهو بالغ قبلت روایته . لأنهم اجمعوا على قبول ما رواه ابن الزبير
والنعمان بن بشير وابن مالك .

الثانية الأصول :

ولا يشترط أن يكون الرواية مسلماً حين تتحمل الحديث .
لأنهم قبلوا حديث جبير بن مطعم في أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ في المغرب بسورة الطور . ولم يكن جبير حينذاك مسلماً .
أما اداء الرواية في حال الكفر فلا تقبل اتفاقاً . لأن هذا دين
وكيف يؤخذ دين من يخالفه ؟ .

الثالث العدالة :

كذلك لا تشرط العدالة حين التحمل ولكنها تشرط حين
الاداء ، والعدالة ملائكة تحمل على ملازمة التقوى والمرءة ، وتعرف
بالشهرة والتزكية .

(١) كتاب أصول الفقه للشيخ محمد الحضرمي ص (٢٦٠) باختصار .

الرابع - مجانه ضبطه على غفلته :

وهذا الشرط لازم من وقت تحمله الحديث الى وقت ادائه .
ويعرف الضبط بالشهرة وموافقة المشهورين بالضبط في روایاتهم
لفظاً ومعنى .

وعلى الجملة فان الطعن في الحديث يكون بعشرة اشياء . خمسة
منها تتعلق بالعدالة ، وخمسة تتعلق بالضبط . ولم يحصل الاعتناء
بتمييز احد القسمين من الآخر .

وترتبها على الاشد فالاشد في موجب الرد . لأن الطعن يكون
١ - لكذب الراوي ، ٢ - لتهمته بالكذب في الحديث ، ٣ - من
عرف بالكذب في كلام فيها ليس بحديث ، ٤ - لفحش غلطه ،
٥ - او غفلته ، ٦ - او وهمه ، ٧ - او مخالفته للثقات ، ٨ - او
جهالته ، ٩ - او بدعته ، ١٠ - او سوء حفظه .

١ - كذب الراوي . ويكون حديثه موضوعاً فلا يقبل منه شيء .
٢ - لتهمته بالكذب في الحديث ويكون حديثه متروكاً .
٣ - اشاعة الكذب عنه في كلامه الذي ليس بحديث .

٤ - فحش غلطه

٥ - لشدة غفلته

٦ - كثرة توهيه

٧ - مخالفته للثقات

٨ - جهالته بسبب كثرة نعوتة من اسم ، او كنية ، او لقب ، او صفة ،
او حرفة ، او نسب . فيشتهر بشيء منها . فيذكر بغير ما اشتهر

- بـه لـغـرـض . فـيـظـنـ اـنـهـ رـأـوـ آـخـرـ فـيـحـصـلـ الجـهـلـ بـحـالـهـ .
- ٩ - بـدـعـتـهـ . كـأـنـ يـتـدـعـ اـمـرـ آـخـالـفـاـ لـلـشـرـعـ ، اوـانـكـرـ اـمـرـ آـمـتـواـتـاـ
- مـنـ الشـرـعـ مـعـلـوـمـاـ مـنـ الدـيـنـ بـالـنـزـرـوـرـةـ .
- ١٠ - لـسـوـ ، حـفـظـهـ . وـالـمـرـادـ بـسـوـ ، الـحـفـظـ مـنـ لـمـ يـرـجـحـ اـصـابـتـهـ عـلـىـ
- جـانـبـ خـطـأـهـ وـحـكـمـ حـدـيـثـهـ التـوـقـفـ عـنـ قـبـولـهـ اوـرـدـهـ .



الفصل السادس الحديث وأقسامه

قسم العلامة العدید الى ثلاثة أقسام رئيسية ، فهو اما صحيح ،
واما حسن ، واما ضعيف .

الحديث الصحيح

هو الحديث المـسند الذي اتصل اسناده بنقل العـدل الضابط
عن مثله العدل الضابط ، مـرفوعاً الى رسول الله ﷺ .

ثم قسموا الصحيح الى قسمين . حديث صحيح لذاته ، وصحيح
لفيـره ، فالصحيح لذاته هو ما اشتمـل على أعلى صفات القبول ، وتلك
الصفـات هي : أن يكون راوـيه عـاقلاً ، بالـغاً ، ضـابطاً ، عـدلاً ، مـسلماً .
أما الصحيح لـفيـره فهو : الحديث الذي لم يـشتمـل على أعلى
صفـات القـبول ، ولكـنه صحيح لأـمر اجـنبـي عنـه ، بأن عـضـته
روايات أخرى مـوثـقـ بها .

١ - الحديث المتواتر

وقد يكون الحديث الصحيح متواتراً ، مـسـنـداً ، متـصـلاً .
المـتوـاتـر : هو الحديث الصحيح الذي يـروـيه جـمـعـ يـحـيلـ

العقل والعادة تواطؤهم على الكذب كقوله ﷺ (من كذب على
محمدًا فليتبوأ مقعده من النار) . وحكمه انه يفيد القطع اليقيني
بالضرورة .

والمسند : هو الحديث الذي اتصل استناده من راويه الاول الى راويه الاخير . ولم يسقط منه شيء ، وقد يقال في وصفه : انه متصل ، او موصول .

٢- الحديث الحسن

هو ما اتصل سنته بنقل عدل خفيف الضبط ، سالم من الشذوذ والعلة . والحسن نوعان ايضاً . حسن لذاته ، وحسن لغيره .

أما الحسن لذاته فهو ما كان حسنة مبنيةً من ذاته لامن شيء آخر . فهو كالصحيح في شرطه ، وإن كان أخف منه بضبط رجاله . أما الحسن لهـ يره فهو ما كان أحد سنته مستوراً لم تتحقق أهليته ، ولا عدم أهليته ، غير أنه ليس مغفلـ كثير الخطأ ، ولا متهما بالكذب ، وقد يكون متنه معضداً برواية أخرى مماثلة له ، تتبع لفظه ، أو تشهد لمعناه .

وقد يسمى الحديث الصحيح غريباً اذا تفرد بروايته واحد ثقة ، ويسمى مشهوراً اذا اشتهر كت جماعة في روایته عن الشیخ الشقة^(۱) .

(١) كتاب علوم الحديث ومصطلحه ص (١٥٢) . وقيل : ان الحديث للشهرور هو ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم برواية آحاد في القرن الاول ، ثم انتشر حتى تسلّم قوم لا يتوهمون توافقهم على الكذب في القرنين الثاني والثالث .

٣ - الحديث الضعيف

هو الحديث الذي لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ، ولا صفات الحديث الحسن . بان كان رواه غير عدول ، ولم يكونوا مستورين بل عرفو بالكذب أو كانوا مستورين ولم تعدد أوجه روایتهم ، أو كان في الحديث شذوذ ، أو علة خفية ، والحديث الضعيف انواع ، ابعدها عن القبول الحديث الموضوع الذي قام الدليل على كذبه ، قال النووي : الحديث الضعيف عند تعدد الطرق يرتيق من الضعف الى الحسن ويصير مقبولا^(١) .

٤ - الحديث المرسل

هو الحديث الذي سقط منه الصحابي ، وفقد الاتصال في السند ، وسمى مرسلا لأن راويه أرسله واطلقه فلم يقيده بالصحابي الذي رواه . فهو على الارجح ضعيف وليس بصحيح . مثال ذلك أن يقول التابعي : قال رسول الله ﷺ كذا ، أو فعل كذا ، أو فعل بحضوره كذا . والمرسل يحتاج به عند جهود التابعين ، وقد لا يرون ضعيفاً .

٥ - الحديث المنقطع

هو الحديث الذي سقط من أئناده رجل ، أو كان أحد أئناده مهما ، وقيل : هو الذي سقط من رواه راو واحد قبل الصحابي ،

(١) كتاب للنتف من السنة للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص (٣٥) .

فخرج بالواحد الحديث المضلل ، وخرج بما قبل الصحابي الحديث
المرسل .

٦- الحديث المضلل

هو الحديث الذي سقط منه روایان فاكثر بشرط التوالی ،
والمضلل أضعف حالا من المنقطع ، والمنقطع أضعف حالا من المرسل
وقد يطلق لفظ المضلل على الحديث الذي أشکل معناه وان لم يسقط
أحد من سنته .

٧- الحديث المدلس

التدليس لغة : هو اخفاء العيب ، وأصله من الدلس ، وهو
اختلاط الظلام .

ثم ان المدلس يطلق على ثلاثة حالات . تدلisis الاستناد ،
وتدلisis الشيوخ ، وتدلisis التسوية .

تدليس الاستناد : هو أن يسقط اسم شيخه الذي سمع منه ،
ويرتقي الى شيخ شيخه بقوله : عن فلان ، أو قال فلان .

وتدلisis الشيوخ : هو أن يسمى شيخه الذي سمع منه بغير
اسمه المعروف به أو أن يسمى شيخه بغير ما عرف به من نسب أو
صفة لكيلا يعرف .

وتدلisis التسوية : هو أن يسقط ضعيفاً بين شيخين ثقتيين
فيستوي الاستناد كلها ، وهذا أشر أنواع التدلisis .

وعلى الجملة ان الحديث المدلس : هو ذلك الحديث الذي يؤديه
الراوي عن عاصره ، ولقيه مع انه لم يصح له سماعه منه أو عن عاصره

ولكنه لم يلفه موها انه سمعه من لم يحدثه به . مثال ذلك قول علي بن خشrum . كنا عند سفيان بن عيينة فقال : قال الزهري : كذا . فقيل له : أسمعت منه هذا ؟ قال : حدثني به عبد الرزاق عن معمر عنه . سفيان قد عاصر الزهري ولقيه ، ولكنه لم يأخذ عنه فيصح سماعه منه . واما اخذ عن عبد الرزاق ، وعبد الرزاق اخذ عن معمر ، ومعمر اخذ عن الزهري .

فالتدليس هنا اسقاط سفيان شيخيه ، وابراوه الحديث بصيغة توهם سماعه من الزهري مباشرة .

٨ - الحديث المعلم أو المعلول

هو الحديث الذي اكتشفت فيه علة تقدح في صحته وان كان يبدو في الظاهر سليما من العلل .

قال ابن حجر : (انه من اغمض انواع علوم الحديث وأدقها ، ولا يقوم به إلا من رزقه الله تعالى فيها ثاقبا ، وحظا واسعا ، ومعرفة تامة بمراتب الرواية ، وملكة قوية بالاسانيد والمتون) .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : معرفة الحديث هي إلهام من الله ، فلو قلت لله ألم بعلل الحديث : من أين قلت هذا ؟ لم يكن له حجة .

وقيل له ايضا : اذك تقول لشيء ، هذا صحيح ، وهذا لم يثبت ، فعنن تقول ذلك ؟ فقال : أرأيت لو أتيت الناقد فأريته دراهمك فقال : هذا جيد ، وهذا برج ، اكنت تسأل عن ذلك أو تسلم له الامر ؟ قال : بل أسلم له الامر . قال : فهذا كذلك ، لطول المجالسة والمناظرة والخبرة .

وقالوا في تعريفه ايضاً : انه حديث ظاهر السلام ، لكن فيه علة خفية يعرفها الناقد البصیر في شؤون الحديث .
وقد تقع العلة في الاسناد ، وفي المتن . أما وقوعها في الاسناد فقد تدرك بتفرد الراوي ، وبمخالفة غيره له مع قرائن تنضم الى ذلك وتنبه الناقد على وهم وقع بارسال موصول ، او قف مرفوع ، او دخول حديث في حديث .

اما وقوع العلة في المتن فقد تدرك بزيادة او نقص في متن الحديث كحديث الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي عن قتادة بن دعامة السدوسي بخبره عن انس بن مالك انه حدثه قال : صلیت خلف النبي ﷺ ، واي بيكر و عمر و عثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ، لا يذكرون باسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخره اخرجه مسلم .

فقد اعل الشافعي وغيره هذه الزيادة التي فيما عدم البسمة بأن سبعة او ثانية خالفوا ذلك واتفقوا على الاستفتاح بالحمد لله رب العالمين ولم يذكروا البسمة .

٩- الحديث الشاذ

هو الحديث الذي رواه الشقة مخالفـا الثقات . قال الشافعي : ليس الشاذ من الحديث ان يروي الشقة ما لا يرويه غيره ، هذا ليس بشاذ ، اـما الشاذ ان يروي الشقة حديثاً مخالفـا فيه الناس . فالشاذ إذن لا يلاحظ فيه مطلق التفرد ، بل التفرد والمخالفة في آن واحد . وبهذا الاصطلاح اخذ كثير من علماء الحجاز ، وانتصر لهذا

التعریف ابن الصلاح ، واستنبط منه ابن کثیر - ان الثقة اذا روی
ما لم یروه غيره فروایته مقبولة اذا كان عدلا ضابطا حافظا . فان هذا
لورد لرد احادیث کثيرة من هذا النمط ، وتعطلت کثير من المسائل
عن الدلائل .

ويقول ابن القیم ، اما الشذوذ أن يخالف الثقة الثقات فيما
رووه . فاما اذا روی الثقة حديثاً منفرداً به ولم یرو الثقات خلافه ،
فان ذلك لا یسمى شاذآ^(۱) .

(۱) علوم الحديث ومصطلحه ص (۱۹۶) .

الفصل السابع

١٠ - الحديث المشترك

بيان الصحيح والحسن والضعيف

الحديث المشترك بين الصحيح والحسن والضعيف هـ و ذلك

الحديث الذي يتصرف بالصحة نارة وبالحسن نارة ، وبالضعف نارة اخرى . فقد يكون الحديث المشترك مرفوعاً، أو مسندأً، أو متصلأً .

فالحديث المرووع هو أن يقول الصحابي سمعت النبي ﷺ

يقول : كذا ، أو رأيت النبي ﷺ يفعل : كذا ، أو فعلت بحضورة
النبي ﷺ كذا .

والحديث المسند : ما اتصل اسناده من راويه الى منتهاه

مرفوعاً الى النبي ﷺ . واتصال الاستناد فيه أن يكون كل واحد

من رواته سمعه ممن فوقه حتى ينتهي الى آخره .

أما الحديث المتصل فهو : ما اتصل سناه سواء اكان مرفوعاً

الى النبي ﷺ أم موقوفاً على الصحابي أو من دونه .

وعلى ذلك ان الحديث المرووع قد يكون متصلة وغير متصل ،

وان المتصل قد يكون مرفوعاً ، وغير مرفوع . وان الحديث المسند

اتـم من الحديث المرفوع والمتصل ، فيهـ و في الوقت نفسه متصل
و مرفوع .

فهذه الأحاديث جميعاً صالحة في ذاتها لأن تكون صحيحة أو حسنة أو ضعيفة تبعاً لحال رواتها .

و كذلك القول في الأحاديث المعنونة، والمؤمنة، والمعلقة.

فإنها هي الأخرى تكون مشتركة فتوصف بالصحيحة والحسن والضعف
تبعاً لحال رواتها .

فالحديث المعنون : هو ما يقال في سنته فلان عن فلان من غير تصريح بالتحديث والسماع . وهو من قبيل الاسناد المتصل اذا توافرت فيه ثلاثة شروط : عدالة الرواة ، وثبتت لقا ، الراوي لم روى عنه ، والبراءة من التدليس .

وأما الحديث المؤمن فهو الذي يقال في سنته : حدثنا فلان
ان فلانا قال : كذا . وجعله الإمام مالك كالحديث المعنون سواء .

وأما الحديث المعلق : فهو ما حذف من مبدأ استناده واحداً كثراً على التوالى . وينسب الحديث الىَ من فوق المذوق من رواته ، مثاله : قال عثمان بن الهيثم ابو عمرو : حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحشو من الطعام ، فأخذته وقلت له : والله لا رفعتك الى رسول الله ﷺ .. الحديث .

و كذلك الشأن بين الحديث العزيز والمشهور والمستفيض .

فالعزيز : هو الحديث الذي رواه اثنان عن اثنين عن أحد التابعين من يجمع حديثه كالزهري وقتادة .
وسمى بالعزيز اما لقلة وجوده ، او لكونه قوي بمعنيه من طريق آخر فقوى وعز .

مثاله ما رواه الشیخان من حديث انس بن مالك ، والبخاري من حديث ابي هريرة . ان رسول الله ﷺ قال :

(لا يؤم من احدهكم حتى يكون أحب اليه من والده وولده) .
فقد تحقق بهذا انه رواه عن رسول الله ﷺ صحابيان هما انس وابو هريرة رضي الله عنهم . ورواه عن كل منهما ما لا يقل عن اثنين .
والحديث المشهور : هو الحديث الذي روتة جماعة ثلاثة أو أكثر كقوله ﷺ (المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده) فهذا الحديث مشهور عند أهل الحديث والعلماء ، والعموم في آن واحد .
وأكثر أمثلته تصلح للحديث المستفيض . وقيل فرق بينهما فقالوا :
الحديث المستفيض : هو الحديث الذي يكون في ابتدائه وانتهائه سوا ، والحديث المشهور أعم من ذلك ، لأن الجماعة التي تروي المشهور ثلاثة او أكثر ، فطرفة مخصوصة من اثنين ، بينما ينحصر المستفيض بالآخر من ثلاثة .

الحاديـث الـقـدـسـي

الحاديـث الـقـدـسـي : هو ما اخبر الله تبارك وتعالى به نبيه بالهام أو منام ، او بواسطة جبريل عليه السلام مفوضا اليه التعبير بأية عبارة شاء من انواع الكلام .

جا . في كليلات أبي البقاء ٢٨٨ ان الحديث القديسي هو ما كان لفظه من عند الرسول ، ومعناه من عند الله بالالهام أو بالذنام . والفرق بين الوحي المنسوب وهو القرآن ، والوحي المروى عنه ﷺ عن ربه عز وجل هو : أن القرآن الكريم موحى بلفظه وترتيب سوره وآياته ، فليس للنبي فيه إلا التبليغ .

ثم ان القرآن ثابت نقله بلفظه وترتيبه بطريق التواتر ، ولا يضاف إلا إلى الله تعالى .

أما الحديث القديسي فقد نقل بطريق الآحاد ، وفيه الصحيح ، وغيره كسائر الأحاديث النبوية . وهو يضاف إلى النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه .

الحديث الموضوع

هو الحديث الذي افتراه راويه على رسول الله ﷺ ، باصطدام سند كذب ينتهي به إلى النبي ﷺ .

أسباب الوضع

ان أسباب الوضع كثيرة ، منها :

- ١ - حقد الزنادقة والشuboبيين على العرب والاسلام لما أفادوا الله عليهم من نعمة الرسالة الحمدية .
- ٢ - قصد التزلف ، والتقرّب عند بعض الخلفاء ، والامراء ، وذوي السلطان .
- ٣ - شيوع المذاهب المدamaة ، والانتصار لها زوراً وبهتاناً .

٤- رغبة في الحصول على المال ، و كسب أسباب العيش .

٥ - حب الظهور بظهور العالم الجليل بين الذين يحدثهم من عامة الناس،
ورعاهم .

كيف يعرف الحديث الموضوع

يُعرف الضعف بأمْرٍ ، منهَا :

١- أن يقر واصعه ، بأنه وضع من نفسه حديثاً كذباً ، كما فعل أبو عصمة فوح بن أبي مريم ، فإنه أقر بوضعه على عبدالله بن عباس أحداً في فضائل القرآن سورة ، سورة ، وكما أقر عمر بن صبيح بأنه وضع خطبة للنبي ﷺ .

٢- كون الحديث المروى ركيك اللفظ والمعنى كان يكون فيه
القييد، وفيه لحن، وحاشا لرسول الله ﷺ أن يقول ذلك.

٣ - كون معنى الحديث مخالفًا للعقل ضرورة، غير قابل للتأويل، كحديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المعروف بكذبه، بأن آباء حدثه عن جده عن رسول الله ﷺ: إن سفينة نوح طافت بالبيت، ووصلت خلف المقام، ركعتين.

٥- أن يخالف الحديث المروي دلالة الكتاب القطعية ، أو السنة المتواترة أو الاجماع القطعي ، كالمحدث الذي وضعه أحد الملاحدة

فقال مسنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت ربي بي - فـ

ـ يوم النفر على جل أورق^(١) عليه جهة صوف أمام الناس .

ـ ٦ - أن ينقب عنه طالبه فلا يجده في صدور العلماء ، ولا في بطون الكتب .

ـ ٧ - أن يكون الحديث خبراً عن أمر جسيم تتوفّر الدواعي على نقله بحضور جمع عظيم ، ثم لا يرويه إلا واحد .

(١) الجل الأورق هو الذي لونه لون الرماد .

الفصل الثامن

أحاديث مختارة من كتب الصحاح

وكتاب المجازات النبوية

١ - متن الحديث

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اليد العليا خير من اليد السفلة ، وابداً من تَعْوِل ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغفِّن يغفِّنه الله) .

الشرح

أول ما يجب على الإنسان أن يكون قويًا بنفسه ، معتمدًا على اجتهاده ، يكسب بالوسيلة الشريفة ، مستغنياً بما عنده مترفعاً عن مد يده إلى الناس ، وال المسلم الذي يعطي من ماله خير من المسلم الذي يأخذ من صدقة غيره . ذلك لأن اليد المنفقة هي اليد العليا ، واليد المسائلة هي اليد السفلة . وأفضل الإنفاق هو ما ينفقه الإنسان على المحتجين من أهله وذوي قرباه ، وعلى المجاهدين الذين وقفوا أنفسهم للدفاع عن أمتهم وببلادهم كالفدائين الآن ، وعلى الضعفاء ، العاجزين عن كسب قوتهم اليومي .

والصدقات عموماً عمل صالح، ولكن ينبغي أن تكون عن سعة، ويسر . كما يجب على الإنسان أن يترفع عن طلب الصدقة ويستغنى عنها ولا سيما إذا كان قادرآ على العمل ، لأن الله يحب المتعففين الصابرين ويغني العاملين المبتهدين . ومن يستعفف يغفر له ، ومن يستغنى يغفر له .

٢ - متن الحديث

من قال حين يسمع النداء : (الالقم رب " هذه الدعوة التامة ، والصلوة ، القائمة ، آن سيدنا محمدآ الوسيلة وفضيلة ، وأبعشه مقاماً محمودآ الذي وعدته ،) حَمِلتْ له شفاعتي يوم القيمة^(١) .

الشرح

يريد بالنداء تقامه ، ليكون آتيا باجابة المنادي قبل هذا الدعاء ، . . . يرشدك الى ذلك قوله في حديث آخر اذا سمعت المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على " ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها متزلة في الجنة لا تنبع إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأله لي الوسيلة حملتْ عليه الشفاعة .

والدعوة التامة هي ما في النداء من طلب الاقبال على العبادة ، وصفت لذلك باشتتما على عقيدة التوحيد ، وهي أتم القول وأكمله ، والصلوة القائمة ، أي المقومة الاركان ، أو الدائمة من قام على الشيء اذا داوم عليه ، والوسيلة في الاصل ما يتوصل به الى الشيء ، ويتقرب

(١) كتاب : هداية الباري الى ترتيب احاديث البخاري الجزء ٢ م (٢٢٤)

به اليه ، وتطلق على المنزلة كما تقدم لك ، وهذا المعنى هو المعنى هنا .
والفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل ، والمقام المحمود هو مقام الشفاعة
المظمى ، وأراد بالوعد ما في قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً
محموداً) وحلت بمعنى وجبت .

٣ - متن الحديث

(اذا كنتم ثلاثة فلا ينتاجي رجالن دون الآخر حتى تختلطوا
بالي الناس أ جلَّ ان ذلك يحزنه) ^(١) .

الشرح

النبي في الحديث بمعنى النهي ، والتناول معناه : التسار والتاختاف
بالقول حتى لا يسمعاها . أ جلَّ : أي من أجل ان ذلك يدخل على
قلب من يجالسها الوحشة والحزن والشعور بأنه ليس موضع ثقة
الmantاجين .

وهذا شأن من الشؤون الأخلاقية ، وأدب من الآداب
الاجتماعية ، يقصى الشكوك من مقاربة الصدور ، ويقي المعتصم
بحبله من وبا ، التفود ، فيلزم المرء اذا كان ثالث ثلاثة أن لا يؤثر
احد الجليسين بالتناول دون الآخر ، فالتعليل ظاهر ، لانه قد
تذهب به فنون الظنون الى ان نجواها اغا هي لسوء رأيها فيه ، او
لانهما يريدان به غائلاً ، وهذا المعنى مأمون عند الاختلاط بالغير .
والنهي ليس قاصراً على هذا العدد ، وإنما آثره بالذكر لانه اول

(١) كتاب هداية الباري الجزء الاول ص (٦٧) الحديث متافق عليه .

عدد يتصور فيه هذا المعنى، فهـا وجد فيه أـلـحـقـ بـهـ فيـ الـحـكـمـ ، بل وجودـهـ فيـ العـدـ الـكـثـيرـ اـمـكـنـ ، فـلـيـكـنـ فيـ المـنـعـ اوـلـ .

٤ - مـتنـ الـحـدـيـثـ

قال رسول الله ﷺ (الـحـالـ بـيـنـ ، وـالـحـرـامـ بـيـنـ) ، وبينـا مـتـشـابـهـاتـ (٢) ، لـاـ يـعـلـمـهـاـ كـثـيرـ مـنـ النـاسـ ، فـنـ اـنـقـىـ الشـبـهـاتـ اـسـتـبـرـأـ لـدـيـنـهـ وـعـرـضـهـ ، وـمـنـ وـقـعـ بـيـ الشـبـهـاتـ كـبـرـاعـ بـرـعـىـ حـوـلـ الـجـمـىـ ، يـوـشـكـ انـ يـوـاقـعـهـ ، الاـ وـانـ لـكـلـ مـلـكـ حـىـ ، الاـ إـنـ حـىـ اللـهـ فـيـ اـرـضـهـ حـارـمـهـ ، الاـ وـانـ فـيـ الـجـسـدـ مـضـفـةـ اـذـاـ صـلـحـ الـجـسـدـ كـلـهـ ، وـاـذـاـ فـسـدـتـ فـسـدـ الـجـسـدـ كـاـهـ الاـ وـهـيـ الـقـلـبـ .

الـشـرـحـ

(١) الـحـالـ : هـوـ مـاـ أـذـنـ فـيـهـ المـشـرـعـ ، سـوـاـ اـسـكـانـ وـاجـبـاـ ، اوـ مـنـدـوـبـاـ ، اوـ مـكـرـوـهـاـ ، اوـ مـبـاحـاـ .

(٢) وـالـحـرـامـ : مـاـ فـهـىـ عـنـهـ المـشـرـعـ فـهـىـ جـازـمـاـ . حـيـثـ يـعـاـقـبـ عـلـىـ فـعـلـهـ .

(٣) وـالـمـتـشـابـهـاتـ : مـاـ شـبـهـتـ بـغـيـرـهـ مـاـ لـمـ يـتـبـيـنـ حـكـمـهـاـ عـلـىـ التـعـيـنـ .

(٤) اـمـاـ الـبـرـاءـ فـهـىـ : خـلـوـصـ الشـيـ ، مـنـ غـيـرـهـ ، وـمـعـنـىـ اـسـتـبـرـأـ : طـلـبـ الـبـرـاءـ اـيـ خـلـوـصـ لـدـيـنـهـ مـنـ النـقـصـ ، وـعـرـضـهـ مـنـ الطـعـنـ .

(٥) يـقـالـ : أـحـيـتـ الـمـكـانـ اـذـ جـعـلـتـهـ مـحـيـاـ ، وـمـنـعـتـ مـنـ يـقـربـ مـنـهـ .

وـالـمـعـنـىـ : اـنـ الـحـالـ الـحـضـ وـالـحـرـامـ الـحـضـ قـدـ يـبـيـنـ أـدـلـهـاـ ،

وـظـهـرـ الـمـعـنـىـ الـذـيـ مـنـ أـجـلـهـ أـحـلـ اللـهـ الـحـالـ ، وـحـرـمـ الـحـرـامـ .

(١) كـتـابـ لـلـتـخـبـ منـ السـنـةـ عـنـ الـجـلـسـ الـأـعـلـىـ لـلـثـؤـونـ الـإـسـلـامـيـةـ . الـجـلـدـ الـأـوـلـ

صـ ٢٩٦ .

(٢) مـتـشـابـهـاتـ - شـبـهـتـ بـغـيـرـهـ مـاـ لـمـ يـتـبـيـنـ بـهـ جـكـمـهـاـ عـلـىـ التـعـيـنـ .

غير ان هناك اموراً اخذت من جانب الحلال شيئاً ، ومن جانب الحرام شيئاً ، وقد بين الرسول ﷺ ما ينبغي أن يحتذيه المكلف فيها ، ومثل له مثلاً بالراغي يرعى حول الحمى : يوشك أن يوافعه فالخير له أن يتعد عنه ، ولا يتعرض للوقوع فيه^(١) . والقلب هو الحكم في ذلك . والمكلف أمن على مفهوم ادراكه ، وعقله وفي الحديث (استفت قلبك وان افتك الناس وافتوك) .

٥- متن الحديث

لا ضرر ولا ضرار

هذا حديث شريف رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسنداً الى النبي ﷺ ولم يحذفوا من سنته احداً . ولقد رواه الامام مالك في الموطأ فأسقط واحداً من سنته فصار مرسلاً . ولهذا الحديث طرق يقوّي بعضها بعضاً والضرر معناه الحقّ مفسدة بالغير مطلقاً أي منها كان نوع هذه المفسدة .

والضرر معناه الحقّ مفسدة بالغير على قصد المشاركة والمقابلة بالمثل . ومعنى ذلك ان كل واحد من الخصمين يعمل لايقاع الضرر بخصمه انتقاماً لنفسه وشفياً من غريمه كما يفعل أهل هذا الزمان .

اما حكم الاسلام في مثل هذه الاحوال فهو حكم عدل رُوعي فيه ضمان مصلحة الخلق جيماً على مدى الازمان والاجيال . فقوله ﷺ (لا ضرر ولا ضرار) على ايجازه فقد جمع البلاغة

(١) كان الشريف في الجاهلية اذا نزل ارضاً اخبطها له لا يشاركه فيها أحد ، وهو يشارك القوم في سائر ما يرعنون .

والحكمة من اطراها . واحتاط لما يجب ان تكون عليه المصلحة البشرية حيطة تامة . ليس لها مثيل في تاريخ الفكر البشري ولا يرقى اليه التشريع الوضعي منها حدقـ مشرعوه ومهما احتاطوا له .
 ان في هذا الحديث الشريف حداً فاصلاً بين الافعال الحيوانية والافعال الانسانية . إذ الحيوان الاعجم خلوـ من العقل عاجزـ عن النطق . أما الانسان فأعطاه الله خلقا خاصا به ، أعطاه عقلا مدبرا ، ولسانا ناطقا وعواطف نبيلةـ وارادةـ قوية . ثم ارسل له الرسل تبشره وتنذرـه وابياتـه بأن له حيـاتـين حـيـاةـ الدـنـيـا وـحـيـاةـ الـآخـرـةـ فـانـ عـمـلـ سـوـاـ وأـفـلـتـ من عـقـوبـتـهـ فـلـنـ يـفـلـتـ من عـقـوبـةـ فـيـ الثـانـيـةـ . كل ذلك يفرض عليهـ أنـ يـتـمـيزـ بـأـفـعـالـهـ عـنـ اـفـعـالـ الـعـجـاـوـاتـ حـفـظـاـ لنـفـسـهـ عـلـىـ الـاقـلـ وـاحـتـرـاماـ لـمـاـ أـوـدـعـهـ اللـهـ تـعـالـيـ فـيـهـ مـنـ مـزاـيـاتـ الـحـسـانـ مـيـزةـ الـعـقـلـ وـالـارـادـةـ وـالـلـسـانـ .

يقول علمـاـ . الاجتماعـ إنـ الانـسانـ مـدـنـيـ بـالـطـبـعـ وـيـقـصـدـونـ بـذـلـكـ انهـ لاـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـعـيـشـ وـحـيدـاـ مـنـفـرـداـ عـنـ اـبـنـاـ . جـنـسـهـ دـوـنـ أـنـ يـنـتـظـمـ فـيـ مجـتمـعـ وـيـقـيـدـ بـشـرـيـعـةـ وـيـلتـزمـ بـقـانـونـ وـيـسـلـكـ فـيـ حـيـاتـهـ مـسـلـكـاـ وـفقـ ماـ التـزمـ بـهـ اـبـنـاـ . جـنـسـهـ وـافـرـادـ مجـتمـعـهـ . انـ هـذـاـ المـعـنـيـ الـذـيـ يـعـنـيـهـ عـلـمـاـ . الاجتماعـ لاـ يـمـكـنـ أـنـ يـتـحـقـقـ مـاـ لـمـ يـتـحـقـقـ مـضـمـونـ هـذـاـ حـدـيـثـ الشـرـيفـ (لاـ ضـرـرـ وـلاـ ضـرـارـ) فـارـاقـةـ الـانـسانـ دـمـ أـخـيـهـ الـانـسانـ ضـرـرـ عـلـيـهـ وـهـتـكـهـ عـرـضـ غـيرـهـ ضـرـرـ عـلـيـهـ وـاحـتـكـارـهـ قـوـتـ النـاسـ ضـرـرـ عـلـيـهـمـ وـرـبـحـهـ اـضـعـافـاـ مـضـاعـفـةـ فـيـ الـبـيـعـ وـالـشـرـاءـ ضـرـرـ عـلـىـ الـجـمـعـ الـذـيـ يـعـيـشـ فـيـهـ . وـالـضـرـرـ إـنـ لـمـ يـكـنـ حـالـاـ فـقـدـ يـكـونـ مـاـلـاـ . فـاـمـسـلـمـ الـمـؤـمـنـ بـالـلـهـ وـالـيـوـمـ الـآخـرـ يـجـبـ عـلـيـهـ أـنـ يـتـجـنـبـ

الضرر والاضرار و إلا فانه يكون قد خالف امر الله وأمر الرسول
 ثم انه يكون عرضة لنعمة الله ونسمة المجتمع ونسمة التاريخ .
 لعكس الامر وسائل هؤلاء الذين يتعمدون ايقاع الاضرار بغيرهم
 هل يحبون ان يمتدى عليهم غيرهم اعتداناً أو كثراً ويعبث
 بهم كما يعيشون بغيرهم . اتر لهم يتقبلون ذلك بدون حزن و ألم ؟
 بالطبع لا يرضيهم ذلك . اذا علام لاذكر ايها المعتمد قبل مباشرتك
 العداوة .

اعلم ان اي نوع من الضرر توقيمه بغيرك يرجع اليك وان كنت
 لا تحسه آننيا . ذلك ان للحياة قانوناً طبيعياً في المشوبة والعقوبة تعطي
 كل ذي حق حقه فتكتافي ، المحسن وتجازى المساء ، ولو بعد حين فقوله
 ﴿لَا ضرر ولا ضرار فيه انذار بالغ الاهمية لـا تؤول اليه عاقبة
 المعذين الذين يضر بعضهم ببعض﴾ .

ثم ان هذا الحديث يضع حدوداً للافراد والجماعات والامم
 فلا ينبغي تجاوزها بناءً على ما يتراوح لالانسان من المنفعة الوقتية
 الخاصة . لأن المصالح الخاصة مقيدة بالصالح العام فالصلاحية الأسرة
 فوق مصالحة الفرد ومصالحة الامة فوق مصالحة الأسرة . وعلى هذا
 الاساس انشأت الدول الادعاء العام وجعلت له حقاً يخضع له كل
 فرد منها على منزلته وارتفاع مقامه .

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولوا سديداً يصلح لكم
 اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم . ومن يطمع الله ورسوله فقد فاز
 فوزاً عظيماً .

* * *

المختار من كتاب المجازات النبوية ٦ - متن الحديث

(المسلمين تتكافأ دمائهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ويرد عليهم أقصاهم ، وهم يد على من سواهم) .

الشرح

المسلمون تتكافأ دمائهم - اي ان دماء المسلمين على اختلاف ملتهم وتباعد اذنائهم متساوية لا يفضل بعضها بعضا في شأن ما يترتب عليهم من الديات .

وقوله : يسعى بذمتهم أدناهم . اي اذا اعطى احدهم عهداً مهما كانت منزلة هذا المعطي فان عهده يسري على باقي المسلمين ، ويكونون ملزمين بوفاء عهده .

وقوله ، ويرد عليهم أقصاهم - اي ان المسلمين الذين يحصلون على الفنائهم في الحرب ينبغي عليهم ان يشركوا باقي المسلمين فيها ، وذلك عن طريق ايداعهم في بيت المال ، وتوزيعها على الجميع من قبل الامام .

وفي قوله عليه الصلاة والسلام - وهم يد على من سواهم استعارة ومجاز . ولذلك وجهان :-

احدها - ان يكون شبه المسلمين في التضاد ، والتوافق ،
والاجماع والترافق ، باليمن او ، احدة التي لا يخالف بعضها بعضها في
البسط والقبض ، والرفع ، والخفف ، والابرام ، والنقص .
ثانية - ان تكون اليد هاتان بمعنى القوة . اي وهم قوة على
من سواهم .

٧- متن الحديث

(لا يلقي الله عبد لم يشرك بالله شيئاً ، ولم يتند بدم حرام إلا دخل الجنة ، من اى ابوابها شاء) .

الشرح

فقوله عليه الصلاة والسلام (ولم يتند بدم حرام) مجاز لانه اراد لم يصب دما حراما ، فعمل عليه الصلاة والسلام الذي يسفك الدم متنديا به ، وان كان لم يباشر سفكه بنفسه ، لأن الاغلب فيمن يتولى سفك الدم مباشرة ان يصبه منه بلل ، ويشهد عليه اثره .

- متن الحديث ٨

(الحياة، نظام الایمان)

وهذه استعارة ، والمراد ان الحياة يجمع صفات الابيان كما يجمع السلك فرائد النظام . لأن الانسان الكبير الحياة . يحجم عن مواقعة المعاصي . فإذا قل " حياؤه تفرق جمّاع ايمانه ، فأشبّه السلك ، في انه اذا انقطع السلك تهاافتت خرز نظامه .

٩ - متن الحديث

قال عليه الصلاة والسلام : (ألا ان عمل الجنة حزن بربوه ،
ألا ان عمل النار سهل بسموه ، وما من جرعة أحب الى الله سبحانه
من جرعة غيظ يكظمها عبد) .

الشرح

في هذا الكلام مجازان ، أحدهما قوله عليه الصلاة والسلام :
ألا ان عمل الجنة حزن بربوه ، ألا ان عمل النار سهل بسموه ^(١) فجعل
عليه الصلاة والسلام عمل الجنة كالحزن من الأرض ، وهو ما غلط
منها ، لأنه يصعب تجسيمه فكذلك عمل الجنة يشق تكلفه ، وزاد
عليه الصلاة والسلام الكلام أيضاً بقوله حزن بربوه ، فلم يرض بان
جعله حزنا حتى جعله بربوه ، وهي الأكرة العالية ، ليكون تجسيمه
أشق ، وتكلفه أصعب ، ولم يرض عليه الصلاة والسلام ، بأن جعل
عمل النار سهلا ، وهو ضد الحزن حتى جعله بسموه ليكون أخف
على فاعله ، وأهون على عامله .

والجاز الآخر قوله عليه الصلاة والسلام : وما من جرعة أحب
إلى الله سبحانه من جرعة غيظ يكظمها عبد ، فكأنه عليه الصلاة
والسلام جعل كظم الغيظ بمنزلة الجرعة المؤثرة التي يحرعها الإنسان
فيجد مذاقها مرأ ، ويجد غبها حلأ ، وهذه المعنى شبها ما يجده
الإنسان من حرارة حزن وحرارة هم بالشجا المترض في الخلق ،
وشبهوا ما يلحقه من منظر يأبه وملحظ لا يهواه بالقدي العارض في

(١) السهوة : الأرض الينية التربة .

الطرف ، لأن الاول يجس بخاري انفاسه ، والثاني ينبع مجال
الحاظه^(١) .

١٠- متن الحديث

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم وزير الايمان العلم ،
ونعم وزير العلم الحلم ، ونعم وزير الحلم الرفق ، ونعم وزير الرفق اللين .)

الشرح

وهذا الكلام مجاز ، المراد كل خلّة من هذه الحال
المذكورة توادر صاحبته ، وتماهى قرينته ، وتفوّق كل واحدة
منها بأختها ، كما يوازى الرجل صاحبه على الامر يطلب ، والعدو
يجاربه ، فيشتد متناها ، وتستحصف قواها .

١١- متن الحديث

قال عليه الصلاة والسلام : ان هذا الدين متين ، فأوغلى فيه
برفق ، ولا تبغض الى نفسك عبادة الله ، فان المبت لا ارضا قطع ،
ولا ظهرأً أبقى .

الشرح

وصف الدين بالمتانة هنا مجاز ، المراد انه صعب الظهور
شديد الاسر ، مأخوذ من متن الانسان ، وهو ما اشتد من لحم
منكبيه . وانما وصفه عليه الصلاة والسلام بذلك لمشقة القيام

(١) من كتاب المجازات النبوية ص (٢٦٨) .

بشر اُنطه ، والادا ، لوظائفه ، فأمر عليه الصلاة والسلام أن يدخل الانسان أبوابه متوفقاً ، ويرى هضابه متدرجاً ، ليستمر على تجشم متابعيه ، ويمرن على امتطاها مصاعبيه . وشبّه عليه الصلاة والسلام العابد الذي يحسّر مُنته ، ويستنفد طاقته بالمنتبت ، وهو الذي يُغذى السير ، ويُكبد الظهر منقطعاً من رفقةه ، ومنفرداً عن صاحبته فتحسّر مطيّته ، ولا يقطع شقته . وهذا من أحسن التمثيليات ، وأوقع التشبيهات .

١٢- متن الحديث

(من كانت الدنيا همّه وسدّمه جعل الله فقراً بين عينيه) .

الشرح

وهذا الكلام مجاز ، المراد به ان من جعل الدنيا همه ، وقرّ عليها باله ، واعرض عن الآخرة بوجهه ، وأخرج ذكرها من قلبه ، واقبل على تشير الاموال ، واستضخام الاحوال ، عاقبـه الله على ذلك ، بأن يزيد فقر نفسه ، وضرع خده ، فلا تسد مفاقره كثرة ما جمع وعدد ، وعظيم ما اتّلَ وثُر ، فكأنه يرى الفقر بين عينيه ، فهو ابداً خائف من الواقع فيه ، والانتهاه اليه ، فلا يزال آكلاً لا يشبع ، وشارباً لا يقنع ، فمه حرص الفقرا . وله مال الاغنياء ، وقال عليه الصلاة والسلام : (جعل فقراً بين عينيه مبالغة في وصفه ، بتتصور الفقر ، فكأنه قريب منه ، وغيره غائب عنه ، كما يقول القائل لغيره اذا أراد هذا المعنى ، حاجتك بين عيني) أي هي متتصورة لي ، وغير غائبة عن قلبي) .

١٢- متن الحديث

(حبك الشيء يعمي ويصم) .

الشرح

وهذا مجاز . لأن حب الشيء على الحقيقة لا يعمي ، ولا يصم ،
وانما المراد أن الإنسان إذا أحب الشيء . أغضى عن مواضع عيوبه ،
كانه لا ينظر لها ، وأعرض عن الملاوم ، والمعاتب من أجله ، كانه
لا يسمعها فصار من هذا الوجه كالاعمى لتفاضليه ، وكالاصم
لتفاقيه .

[تم الكتاب والله الحمد]

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
	٣ المقدمة
باب الاول — الفصل الاول	
٦ الدين الاسلامي ، اصوله واحكامه .	
٨ احكام الله معللة بصالح العباد .	
الفصل الثاني	
١٠ هل تتبدل الاحكام بتبدل الاحوال والايام .	
الفصل الثالث	
١٤ القرآن والحديث هما اهم اصول التشريع الاسلامي .	
١٥ انواع الاحكام في التشريع الاسلامي :	
١٥ ١ - العبادات التي لا تصلح إلا بالنية .	
١٥ ٢ - المعاملات التي شرعت لتنظيم علاقات الناس .	
١٦ ٣ - العقوبات التي شرعت لحفظ حياة الناس .	
١٦ ٤ - احكام شرعت لتحديد علاقات الامة بالحكومة .	
١٦ ٥ - احكام شرعت للجهاد .	
١٦ الامور التي دعاها القرآن ثلاثة :	
١ ١ - عدم المحرج .	
١٧ ٢ - تقليل التكاليف .	
١٧ ٣ - التدرج في التشريع .	
١٨ ٤ - الاجال ثم التفصيل .	

الفصل الرابع

- ١٩ - جلال التشريع الاسلامي .
- ٢٠ - ١ - موافقته لمقتضى العقل الراجح .
- ٢٠ - ٢ - انه تشرع عالمي يتحقق العدالة في العالم .
- ٢١ - ٣ - انه تشرع واقعي لا افراط فيه ولا تفريط .
- ٢١ - ٤ - مصادره تدخر في الفاظها حقائق لا تنتهي حكمتها .
- ٢٢ - ٥ - احكامه قائمة على مراعاة الفضائل العامة .
- ٢٣ - ٦ - للرأي العام في التشريع الاسلامي مقام محمود .
- ٢٥ - ٧ - انه يهدف الى التربية النفسية .

الفصل الخامس

- ٢٧ - أسماء القرآن وموارد اشتتقاقها .
- ٢٨ - تفسير القرآن .
- ٢٩ - هل فسر الرسول القرآن لفظاً ومعنى .
- ٣١ - مميزات التفسير في المرحلة الاولى خمس .
- ٣٢ - اكابر المفسرين من اصحاب الرسول .
- ٣٢ - ١ - علي بن أبي طالب (ع) .
- ٣٣ - ٢ - عبدالله بن عباس .
- ٣٤ - ٣ - عبدالله بن مسعود .
- ٣٢ - المرحلة الثانية في تفسير القرآن .

رقم الصفحة	الموضوع
٣٥	المشهورون من المفسرين في هذه المرحلة .
٣٦	كتب الفسیر المأثورة .
	الفصل السادس
٣٧	ظاهرة الوحي
٣٩	بعض الاحاديث الواردة عن كيفية الوحي .
٤٠	مراتب الوحي اربع .
	الفصل السابع
٤٢	تنجيم القرآن
٤٥	أسباب النزول .
	الفصل الثامن
٤٩	جمع القرآن وكتابته وحفظه .
٥١	القرآن وكتاب الوحي
٥٣	الحكم والتشابه من آيات القرآن
	الفصل التاسع
٥٥	أعجاز القرآن
٥٨	معنى المعجزة ووجوه الاعجاز
٦١	القراءات القراء
	الفصل العاشر
٦٣	تفسير سورة (ق)
٧٧	الفصل الحادي عشر
	تفسير سورة النجم

رقم الصفحة

الموضوع

الباب الثاني - الفصل الاول

٩٥ توطئة - السنة النبوية

٩٦ حجية السنة ووجوب اتباعها

١٠١ الحديث الشريف لغة واصطلاحاً

١٠١ الفرق بين الحديث والسنة

الفصل الثاني

١٠٢ تدوين الحديث

١٠٣ الرحلة في طلب الحديث

الفصل الثالث

١٠٧ دور الحديث

١٠٩ القاب المحدثين

الفصل الرابع

١١٠ علم الحديث روایة ودرایة

١١١ الروایة في عهد الصحابة

١١٣ الروایة في عهد التابعين

١١٤ الروایة بعد عهد التابعين

١١٥ علم مصطلح الحديث

١١٦ مباحث علم الحديث ستة

الفصل الخامس

١٨ كتب الحديث ومراتبها

١٢٠ شروط الراوي

الفصل السادس

- ١٢٣ الحديث واقسامه ، (الصحيح والموارد)
- ١٢٤ « الحسن
- ١٢٥ « الضعيف ، والمرسل ، والمنقطع
- ١٢٦ « المضل ، والحديث المدلس
- ١٢٧ « المعلل أو المعلول
- ١٢٨ « الشاذ

الفصل السابع

الحديث المشترك بين الصحيح والحسن والضعف

- ١٣٢ « القـدسي
- ١٣٣ « الموضوع ، وأسباب الوضع
- ١٣٤ كيف يعرف الحديث الموضوع

الفصل الثامن

- ١٣٥ أحاديث مختارة من كتب الصحاح وكتاب المجازات النبوية
- ١٣٦ الحديث الأول متنه وشرحه
- ١٣٧ « الثاني « «
- ١٣٨ « الثالث « «
- ١٣٩ « الرابع « «
- ١٤٠ « الخامس « «

رقم الصفحة

الموضوع

١٤٣	الحادي السادس متنه وشرحه
١٤٤	» السابع »
١٤٤	» الثامن »
١٤٥	» التاسع »
١٤٦	» العاشر والحادي عشر متنها وشرحها
١٤٧	» الثاني عشر متنه وشرحه
١٤٨	» الثالث عشر متنه وشرحه

الكتب المطبوعة للمؤلف

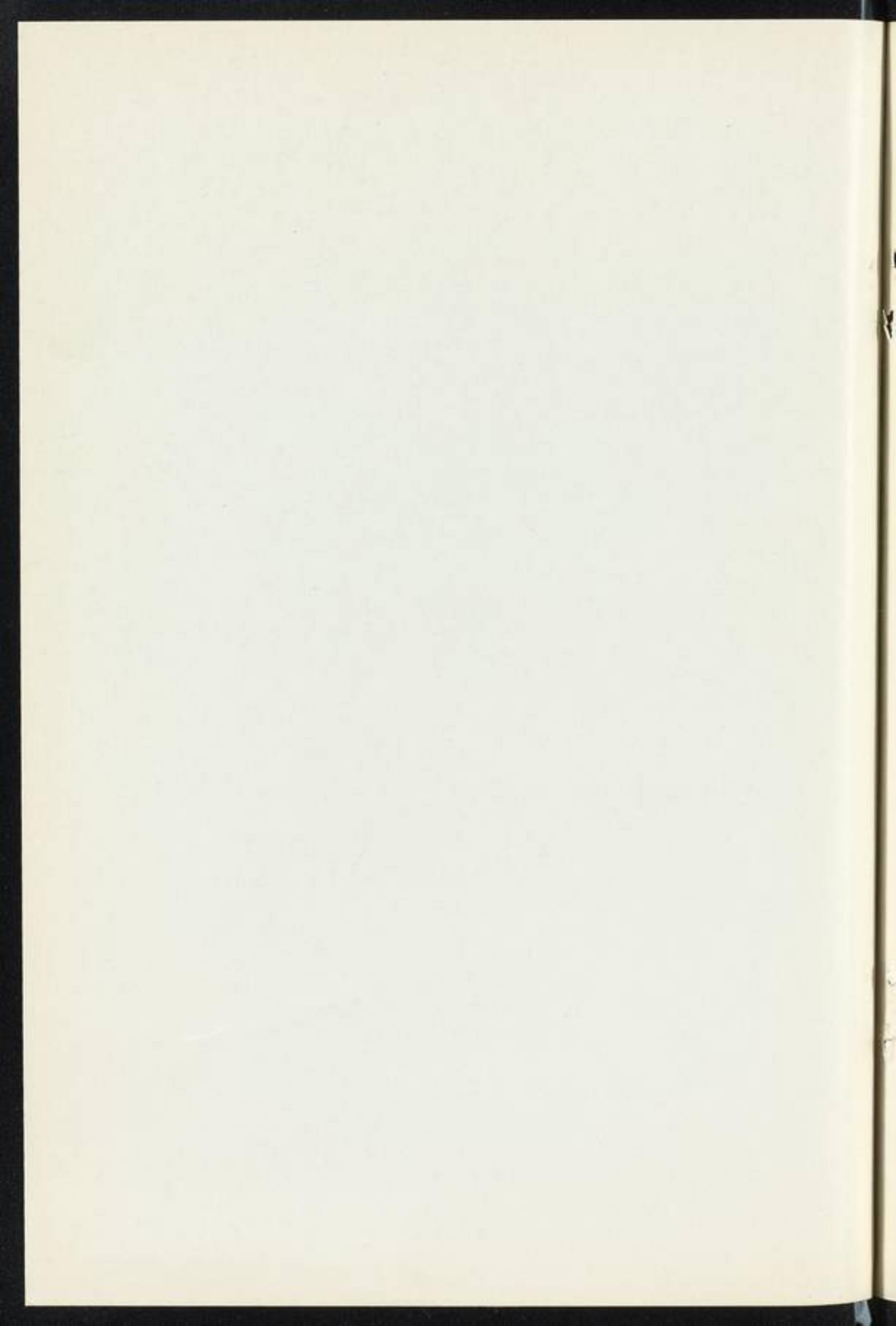
- ١ - الادب ومذاهب النقد فيه
- ٢ - دراسات في النقد الادبي الجزء الاول
- ٣ - دراسات في النقد الادبي الجزء الثاني
- ٤ - تحقيق ديوان العرجي بالاشتراك مع زميل
- ٥ - شرح واعراب شواهد نحوية
- ٦ - دليل النحو الواضح بالاشتراك مع زميل
- ٧ - سلسلة كتب في القراءة للاميين لوزارة المعارف بالاشتراك مع زملاء .
- ٨ - كتاب في التفسير والحديث

الكتب التي تحت الطبع

- ١ - معلم الطريق الى حياة افضل
- ٢ - المذاهب الادبية الحديثة
- ٣ - قالت لي نفسي وقلت لها
- ٤ - رسالة في فلسفة الجمال
- ٥ - رسالة في الامثال العربية
- ٦ - المقارنات الادبية في الادب القديم والحديث
- ٧ - رسالة في فلسفة التشريع الاسلامي
- ٨ - رسالة في الخطابة العربية
- ٩ - رسالة في خصائص الشعر العربي ومن زایاه

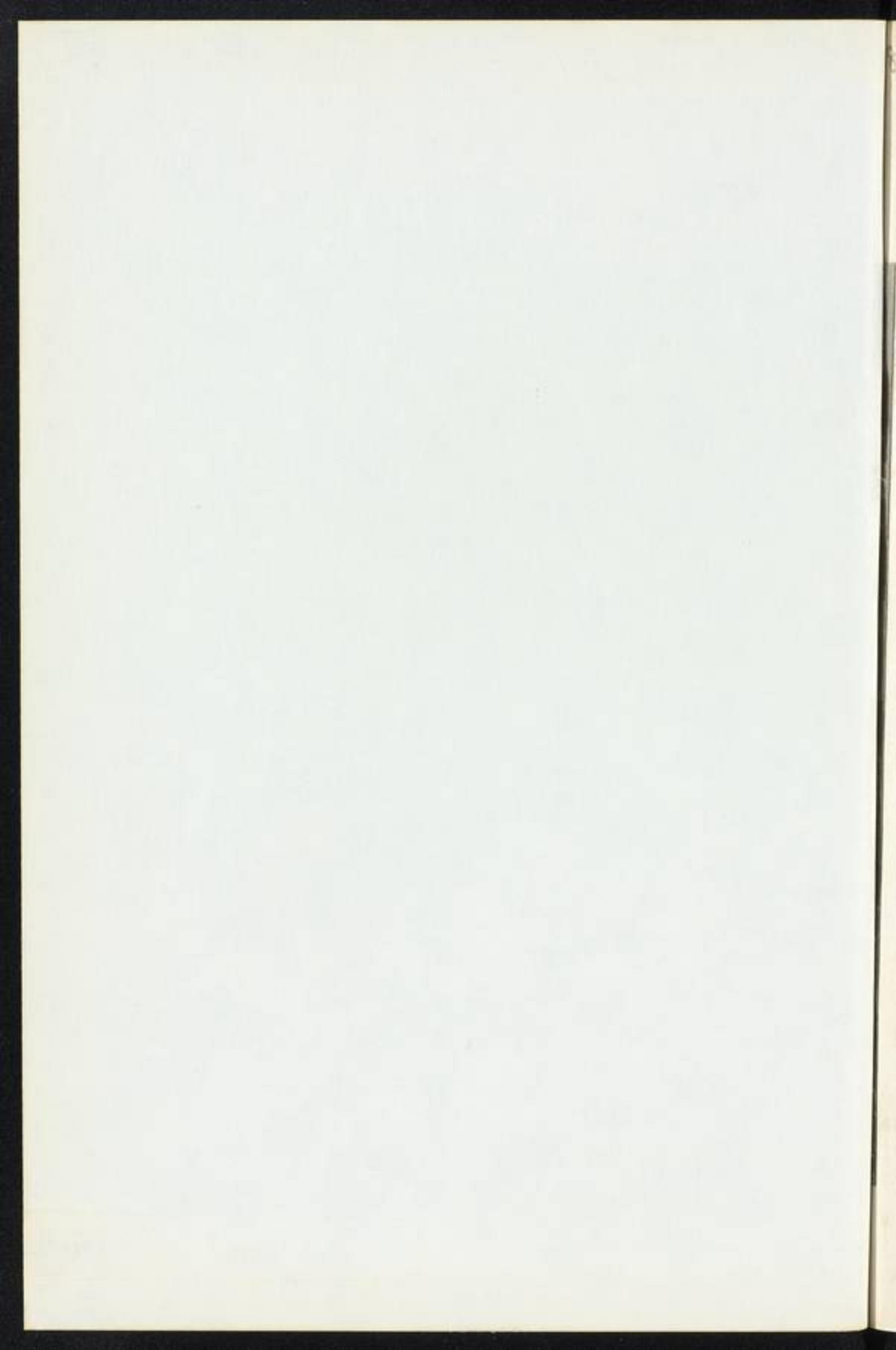
..../101

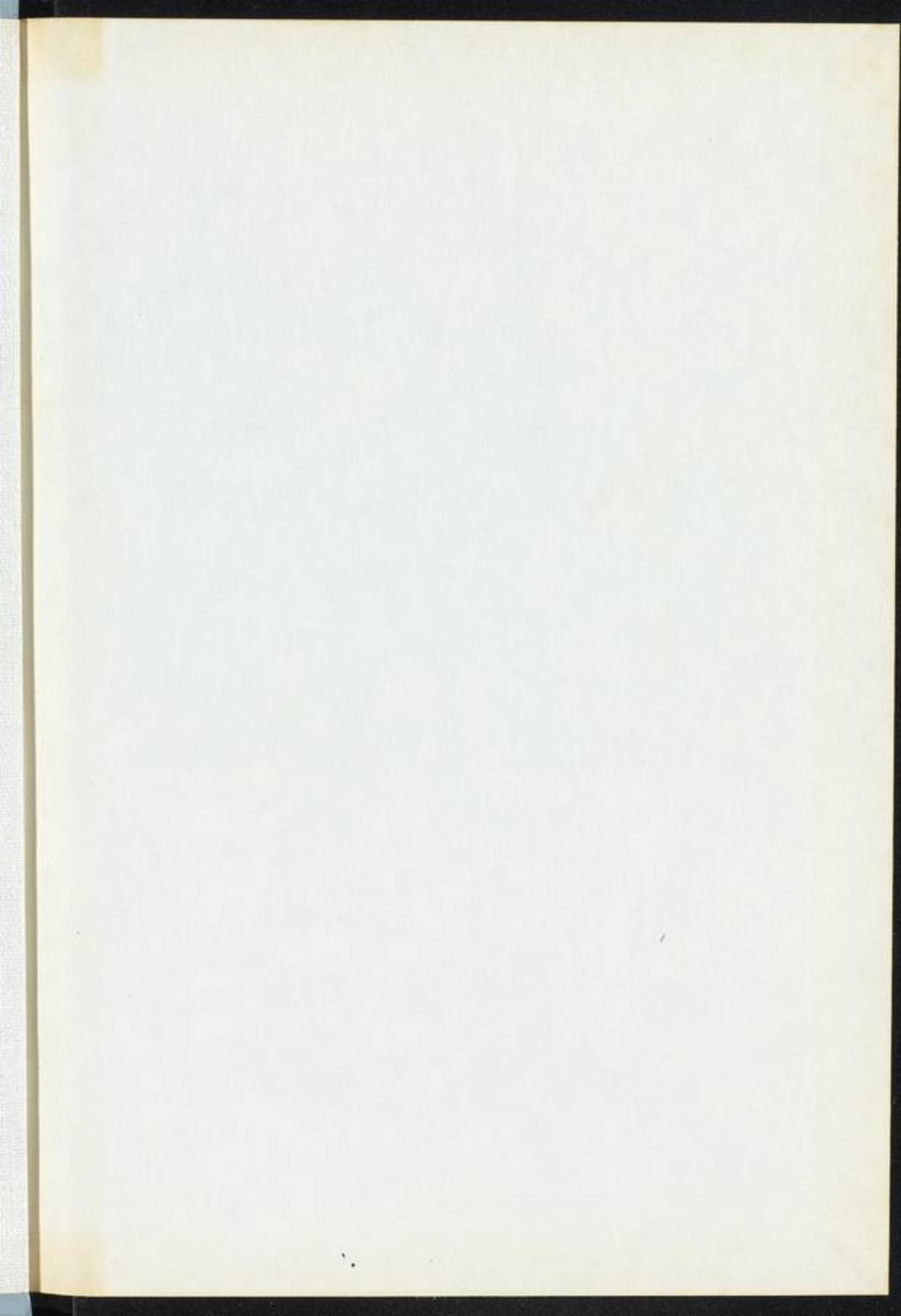
1970/1/30



GENERAL BOOKBINDING CO.
76 4 P
357NY3 318
QUALITY CONTROL MARK

6701





DATE DUE

DATE DUE

JUL 21 1976

PRINTED IN U.S.A.

INSERT

BOOK CARD

PLEASE DO NOT REMOVE
A TWO DOLLAR FINE WILL
BE CHARGED FOR THE LOSS
OR MUTILATION OF THIS CARD.

07549156

ENTRY

07549157

OCT 8 - 1976

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU55322042

BP130.2 .U23

Dirasat fi al-tafsir